السكينة في ضوء القرآن الكريم ،
دراسة موضوعية

إعداد الباحث

عبد الرحمن السيد عبد الله عبد الفتاح

المدرس بقسم التفسير وعلوم القرآن

بكلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة

السكينة في ضوء القرآن الكريم، دراسة موضوعية

عبد الرحمن السيد عبد الله عبد الفتاح

قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة – جامعة الأزهر – مصر

البريد الإلكتروني: AbdelrahmanAbdelfattah659.el@azhar.edu.eg

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة آيات السكينة في القرآن الكريم دراسة موضوعية، فالحياة الدنيا مملوءة بالمصائب والهموم والكروب، والمؤمن في أمس الحاجة ليجتاز هذه الابتلاءات إلى السكينة، وقد تناول البحث تعريف السكينة لغة واصطلاحا، والفرق بينها وبين الطمأنينة والوقار، كما تناول البحث الآيات التي ذكرت فيها لفظة "السكينة "في القرآن الكريم مع بيان أقوال المفسرين في معناها، وبين البحث مواطن نزول السكينة وأسباب نزولها وثمراتها، وأكدت الدراسة أن السكينة فيض من الله ينزلها في قلوب من يشاء من عباده، وأن كل المواطن التي تحدث القرآن عن نزول السكينة فيها مواطن شدة واضطراب، وأن السكينة في تلك المواطن بمعنى سكون النفس واطمئنان القلب والأمنة والثبات الذي ينزله الله على نفوس المؤمنين في تلك الأوقات .

الكلمات المفتاحية : السكينة –ضوء –مواطن –أسباب -ثمرات

Nirvana in the light of the Noble Qur'an, an objective study

Abdul Rahman Al-Sayed Abdullah Abdel-Fattah
Department of Interpretation and Quranic Sciences, Faculty of Fundamentals of Religion and Da`wah, Mansoura - Al-Azhar University – Egypt
E-mail : AbdelrahmanAbdelfattah659.el@azhar.edu.eg

Abstract

This research aims to objectively study the verses of tranquility in the Noble Qur'an. Life is full of calamities, worries and anguish. The believer is in desperate need to overcome these calamities to tranquility. The research deals with the definition of tranquility, both language and idiomatically, and the difference between them and calmness and dignity. The research also dealt with the verses in which the word "tranquility" is mentioned in the Holy Qur'an along with an explanation of the sayings of the commentators on its meaning. The research showed the causes of its descent and its fruits, and the study confirmed that tranquility is an abundance of Allah that He descends in the hearts of whom He wills among His worshippers, and that all places in which the Qur'an speaks of the descent of tranquility, there are instances of distress and confusion, and that the tranquility in these places means the calmness of the soul, the contentment of the heart, the security and the steadfastness that Allah brings to the souls of the believers in those times.

KeyWords: Tranquility - Light - Citizen - Causes - Fruits

المقدمة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴾[1].

أَحمَدُه جل وعلا على نعمه التي لا تحصى، وأشكُرُه جل جلاله على آلائه التي لا تزال تَتْرى، فسبحانه وتعالى مُتواتر إلينا فضله وإحسانه، وموصول إلينا بره وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وصَفِيُّه من خلقه وحبيبه، قال في الحديث المتفق عليه: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، مَثَلُ الأُتْرُجَّةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ التَّمْرَةِ، لا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ، لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ"[2]، أرسله ربه رحمة للعالمين، وأنزل عليه الفرقان ليكون للعالمين نذيرا ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾[3]، فمن اتبع القرآن الكريم فلا يضل ولا يشقى، ومن أعرض عنه فإن له معيشة ضنكا، قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًاۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ

---

١) سورة الكهف: ١، ٢، ٣.

٢) "**صحيح البخاري**" كتاب التوحيد- بَابُ قِرَاءَةِ الفَاجِرِ وَالمُنَافِقِ، وَأَصْوَاتُهُمْ وَتِلاَوَتُهُمْ لاَ تُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، ١٦٢/٩، رقم ٧٥٦٠، ط/ طوق النجاة. "**صحيح مسلم**" كتاب صَلاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا- بَابُ فَضِيلَةِ حَافِظِ الْقُرْآنِ- ٥٤٩/١، رقم ٧٩٧، ط/ دار إحياء التراث العربي، تحقيق: محمد عبد الباقي.

٣) سورة الفرقان: ١.

لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴾[1].

وصلاةً وسلاماً على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه، واستن بسنته، وسار على نهجه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن القرآن الكريم أنزله الله عز وجل لإخراج الناس من الضلال إلى الهدى، ومن الظلمة إلى النور، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾[2]، وبين سبحانه أنَّ سعادة البشرية في الدنيا والآخرة تتوقف على العمل بهديه، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾[3]، وإن أعظم العلوم قدرا وأعلاها منزلة وأرفعها مكانة تفسير كتاب الله عز وجل لأن موضوعه كلام الله تعالى الذي فضله على سائر الكلام كفضل الله على سائر خلقه، وإن من أقسام التفسير التي تبرز هداية القرآن، وتعين على حسن فهم القرآن الكريم وإدراك محتواه التفسير الموضوعي، **وهو علم يبحث في قضايا القرآن الكريم، المتحدة معنى أو غاية، عن طريق جمع آياتها المتفرقة، والنظر فيها على هيئة مخصوصة، بشروط مخصوصة، لبيان معناها، واستخراج عناصرها، وربطها برباط جامع.**[4]

وقد هداني الله عز وجل ووفقني للبحث في آيات السكينة في القرآن الكريم، حيث إن الحياة الدنيا مملوءة بالمصائب والآلام، والهموم والغموم والكروب، والأحزان والأفراح، وإن الناس في أمس الحاجة ليجتازوا هذه

---

١) سورة طه: الآيات ١٢٣: ١٢٧.

٢) سورة إبراهيم: ١.

٣) سورة الإسراء: ٩.

٤) "**المدخل إلى التفسير الموضوعي**" د/ عبد الستار فتح الله سعيد، ص٢٠، ط/ دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة.

الابتلاءات إلى السكينة والطمأنينة، فإن السكينة إذا نزلت على الإنسان في مواقف حياته صلحت أحواله كلها، قال الإمام ابن القيم[1]: (مَتَى نَزَلَتْ عَلَى العَبْدِ السِّكِينَةُ: اسْتَقَامَ، وَصَلَحَتْ أَحْوَالُهُ، وَصَلَحَ بَالُهُ، وَإِذَا تَرَحَّلَتْ عَنْهُ السَّكِينَةُ تَرَحَّلَ عَنْهُ السُّرُورُ وَالأَمْنُ وَالدَّعَةُ وَالرَّاحَةُ، وَطِيبُ الْعَيْشِ. فَمِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى عَبْدِهِ: تَنَزُّلُ السَّكِينَةِ عَلَيْهِ).[2]

ويقول أيضا: (الْعَبْدُ مُحْتَاجٌ إِلَى السَّكِينَةِ عِنْدَ الْوَسَاوِسِ الْمُعْتَرِضَةِ فِي أَصْلِ الإِيمَانِ لِيَثْبُتَ قَلْبُهُ وَلا يَزِيغَ، وَعِنْدَ الْوَسَاوِسِ وَالْخَطِرَاتِ الْقَادِحَةِ فِي أَعْمَالِ الإِيمَانِ لِئَلا تَقْوَى وَتَصِيرَ هُمُومًا وَغُمُومًا وَإِرَادَاتٍ يَنْقُصُ بِهَا إِيمَانُهُ، وَعِنْدَ أَسْبَابِ الْمَخَاوِفِ عَلَى اخْتِلافِهَا لِيَثْبُتَ قَلْبُهُ وَيَسْكُنَ جَأْشُهُ، وَعِنْدَ أَسْبَابِ الْفَرَحِ لِئَلا يَطْمَحَ بِهِ مَرْكَبُهُ فَيُجَاوِزَ الْحَدَّ الَّذِي لا يُعْبَرُ فَيَنْقَلِبُ تَرَحًا وَحُزْنًا، وَكَمْ مِمَّنْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِمَا يُفْرِحُهُ فَجَمَحَ بِهِ مَرْكَبُ الْفَرَحِ وَتَجَاوَزَ الْحَدَّ فَانْقَلَبَ تَرَحًا عَاجِلا، وَلَوْ أُعِينَ بِسَكِينَةٍ تَعْدِلُ فَرَحَهُ لأُرِيدَ بِهِ الْخَيْرُ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ، وَعِنْدَ هُجُومِ الأَسْبَابِ الْمُؤْلِمَةِ عَلَى اخْتِلافِهَا الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، فَمَا أَحْوَجَهُ إِلَى السَّكِينَةِ حِينَئِذٍ، وَمَا أَنْفَعَهَا لَهُ، وَأَجْدَاهَا عَلَيْهِ، وَأَحْسَنَ عَاقِبَتَهَا، وَالسَّكِينَةُ فِي هَذِهِ الْمَوَاطِنِ علامَةٌ عَلَى الظَّفَرِ، وَحُصُولِ الْمَحْبُوبِ، وَانْدِفَاعِ الْمَكْرُوهِ، وَفَقْدُهَا عَلامَةٌ عَلَى ضِدِّ ذَلِكَ، لا يُخْطِئُ هَذَا وَلا هَذَا، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ).[3]

---

١) الْعَلامَة الْكَبِير الْمُجْتَهد الْمُطلق المُصَنّف الْمَشْهُور، مُحَمَّد بن أَبى بكر بن أَيُّوب بن سعد بن جرير الزرعي الدمشقي، شمس الدِّين ابْن قيم الجوزية الحنبلي، ولد: سنة إِحْدَى وَتِسْعين وسبعمائة، برع فِي جَمِيع الْعُلُوم، وفَاق الأقران، واشتهر فِي الآفَاق، وتبحر فِي معرفَة مَذَاهِب السلف، وَمَات: فِي ثَالِث شهر رَجَب سنة إِحْدَى وَخمسين وَسَبْعمائة. ينظر: "**أعيان العصر وأعوان النصر**" لخليل بن أيبك الصفدي، ت: ٧٦٤هـ، ٣٦٦/٤، ط/ دار الفكر، تحقيق: علي أبو زيد. "**البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**" لمحمد بن علي الشوكاني، ت: ١٢٥٠هـ، ١٤٣/٢، ط/ دار المعرفة.

٢) "**مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**" لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، ت: ٧٥١هـ، ٢٠١/٢، ط/ دار الكتاب العربي، تحقيق: محمد البغدادي. بتصرف

٣) "**إعلام الموقعين عن رب العالمين**" لابن القيم، ١٥٦/٤، ط/ دار الكتب العلمية، تحقيق: محمد إبراهيم.

وجعلت بحثي بعنوان: "**السكينة في ضوء القرآن الكريم، دراسة موضوعية**" وحتى ينهض البحث بالمهمة التي أنيطت به، ويحقق الهدف الذي يصبو إليه، فقد قسمته إلى:

مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة ثم فهرس الموضوعات.

المقدمة: وضمنتها نبذة مختصرة عن فضل القرآن الكريم، وتعريفا مختصرا للتفسير الموضوعي، وخطة البحث، وأسباب اختيار الموضوع.

التمهيد: يشتمل على تعريف السكينة لغة واصطلاحا، والفرق بينها وبين الألفاظ القريبة الدلالة كالوقار والطمأنينة.

المبحث الأول: بعنوان الآيات التي ذكرت فيها السكينة، وأقوال المفسرين فيها.

المبحث الثاني: بعنوان مواطن السكينة.

المبحث الثالث: بعنوان أسباب السكينة.

المبحث الرابع: بعنوان ثمرات السكينة.

الخاتمة تشمل: أهم النتائج والتوصيات، ومراجع البحث، وفهارسه.

هذا ومن أهم أسباب اختيار هذا الموضوع، ما يلي:

أولا: حاجتنا الماسة إلى السكينة في كل مواقف حياتنا، لا سيما في وقت الشدة والاضطراب.

ثانيا: الإسهام في إبراز وجه من أوجه هدايات القرآن الكريم، للعمل به حتى نسعد في الدنيا والآخرة.

ثالثا: التمرس على التفسير الموضوعي للقرآن الكريم بذكر نموذج له.

التمهيد

تعريف السكينة

السكينة في اللغة: فعيلة من السَّكَن، يقال: سَكَنَ يَسْكُنُ سُكُونًا وسَكِينَةً فهو سَاكِنٌ، والمفعول مَسْكُونٌ إِلَيهِ، والسِّينُ وَالْكَافُ وَالنُّونُ أَصْلٌ وَاحِدٌ مُطَّرِدٌ، يَدُلُّ عَلَى خلافِ الاضْطِرَاب وَالْحَرَكَةِ، يقال: سَكَنَ الشيءُ يَسْكُنُ سُكوناً إِذَا ذَهَبَتْ حَرَكَتُهُ، وَكُلُّ مَا هَدَأَ فَقَدْ سَكَن كَالرِّيحِ والحرّ وَالْبَرْدِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، قال تعالى: ﴿ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ ﴾[1]، ومنه: سُكَّانُ السَّفِينَةِ، والسُّكَّانُ: مَا تُسَكَّنُ بِهِ السفينة تمنع به من الْحَرَكَةُ وَالاضْطِرَابُ، والسِّكِّين: فِعِّيل مِنْ ذَبَحْتُ الشيءَ حَتَّى سَكَنَ اضْطِرَابُهُ، وسُمِّيَ بِذَلِكَ لأَنَّهُ يُسَكِّنُ حَرَكَةَ الْمَذْبُوحِ، والمسكين: من لا شيءَ له، أو له ما لاَ يكْفِيه، وسمي بذلك: لأن الفَقْر أسْكَنَه، أي: قَلَّلَ حَرَكتَه، وقيل: لسُكُونِهِ إِلَى النَّاسِ، والسَّكَنُ: كلُّ مَا يُسْكَنُ إِلَيْهِ، ويُطْمأَنُّ بِهِ مِن أَهْلٍ وغيرِهِ، فالسَّكَنُ: المرأَة، لأَنها يُسْكَنُ إِلَيْهَا، وَالسَّكَنُ: النَّارُ، وَسُمِّيَتْ سَكَنًا لأَنَّ الإِنسان إِذا آنَسَها لَيلا أَنِسَ بِهَا وسَكَنَ إِليها وَزَالَتْ عَنْهُ الوَحْشَة، والسَّكينة: الطمأنينة والسكون والوَدَاعة والوَقار، يقال: على فلان سكينة ودعة ووقار، وَالسَّكْنُ –بِوَزْنِ الْجَفْنِ–: أَهْلُ الدَّارِ، وسَكَنَ الرَّجُلُ: سَكَتَ، وسَكَنَ بِالْمَكَانِ يَسْكُنُ سُكْنَى وسُكُوناً: أَقام واستوطن، فالسَّكَن أَيضاً: سُكْنَى الرَّجُلِ فِي الدَّارِ، يُقَالُ: لَكَ فِيهَا سَكَنٌ، أَي سُكْنَى، والسَّكَنُ والمَسْكَنُ والمَسْكِن: الْمَنْزِلُ وَالْبَيْتُ، فاسم المكان مَسْكَنُ، والجمع مَسَاكِنُ، قال تعالى: ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ﴾[2].[3]

---

١) سورة الشورى: جزء من الآية ٣٣.

٢) سورة الأحقاف: جزء من الآية ٢٥.

٣) ينظر: "**مقاييس اللغة**" لأبي الحسين أحمد بن فارس الرازي، ت: ٣٩٥هـ، كتاب السين، بَابُ السِّينِ وَالْكَافِ وَمَا يَثْلُثُهُمَا، (سكن)، ٨٨/٣، ط/ دار الفكر، تحقيق: عبد السلام هارون. "**المفردات في غريب القرآن**" لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، ت:

السكينة اصطلاحا:

تعددت أقوال أهل العلم في تعريف السكينة اصطلاحا، وإليك بعض أقوالهم:

١- قيل: حقيقتها هُوَ السّكُون إِلَى وعد الله والثقة.[١]

٢- وقيل: هي ما ينزله الله على أنبيائه من الحياطة لهم، والخصائص التي لا تصلح إلا لهم، كقوله تعالى: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[٢].[٣]

٣- وقيل: الطُمَأنِينَةُ والوَقَارُ وَالسُّكُونُ الَّذِي يُنْزِلُهُ اللَّهُ فِي قَلْبِ عَبْدِهِ، عِنْدَ اضْطِرَابِهِ مِنْ شِدَّةِ الْمَخَاوِفِ، فَلا يَنْزَعِجُ بَعْدَ ذَلِكَ لِمَا يَرِدُ عَلَيْهِ، وَيُوجِبُ لَهُ زِيَادَةَ الإِيمَانِ، وَقُوَّةَ الْيَقِينِ وَالثَّبَاتِ.[٤]

٤- وقيل: ما يجده القلب من الطمأنينة عند تنزل الغيب، وهي نور في القلب يسكن إلى شاهده ويطمئن، وهو مبادي عين اليقين.[٥]

٥٠٢هـ، كتاب السين، سكن، ص٤١٧، ط/ دار القلم، بيروت، تحقيق: صفوان عدنان. "**مختار الصحاح**" لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي، ت: ٦٦٦هـ، باب السين، س ك ن، ص١٥١، ط/ المكتبة العصرية، بيروت، تحقيق: يوسف محمد. "**لسان العرب**" لأبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور، ت: ٧١١هـ، حرف النون، فصل السين المهملة، سكن، ٢١١/١٣، ط/ دار صادر، بيروت. "**معجم اللغة العربية المعاصرة**" لأحمد مختار عمر، ت: ١٤٢٤هـ، بمساعدة فريق عمل، س ك ن، ١٠٨٦/٢: ١٠٨٨، ط/ عالم الكتب.

١) "**تفسير القرآن**" لأبي المظفر منصور بن محمد السمعاني، ت: ٤٨٩هـ، ١٩١/٥، ط/ دار الوطن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس.

٢) سورة البقرة: جزء من الآية ٢٤٨.

٣) "**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**" لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية، ت: ٥٤١هـ، ٣٦/٣، ط/ دار الكتب العلمية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد.

٤) "**مدارج السالكين**" لابن القيم، ٤٧١/٢. "**بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**" لأبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ت: ٨١٧هـ، ٢٣٨/٣، ط/ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، تحقيق: محمد النجار.

٥) "**التعريفات**" لأبي الحسن علي بن محمد الجرجاني، ت: ٨١٦هـ، ص١٢٠، ط/ دار الكتب العلمية. "**التوقيف على مهمات التعاريف**" لزين الدين عبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي، ت: ١٠٣١هـ، ص١٩٥، ط/ عالم الكتب. "**روح البيان**" لإسماعيل حقي بن مصطفى، ت: ١١٢٧هـ، ١٢/٩، ط/دار الفكر.

٥- وقيل: هي ما يحصل به السكون والوقار، وصفاء القلب بنور القرآن، وذهاب الظلمة النفسانية، ونزول ضياء الرحمانية.(١)

٦- وقيل: نور يستقر في القلب، وبه يثبت على التوجه إلى الحق، ويتخلص عن الطيش.(٢)

٧- وقيل: اسْمٌ لِلْحَالَةِ وَالْهَيْئَةِ النَّفْسِيَّةِ الْحَاصِلَةِ مِنَ السُّكُونِ وَالطُّمَأْنِينَةِ، وَهِيَ ضِدُّ الاضْطِرَابِ وَالانْزِعَاجِ.(٣)

٨- وقيل: الطمأنينةُ والأَمَنَةُ المستوجبانِ لأكملِ الثباتِ.(٤)

٩- وقيل: فيض من فيوض الله سبحانه وتعالى يرحم به الناس.(٥)

والمتأمل في التعريفات السابقة يلاحظ ما يلي:

أولا: كلها تعريفات متقاربة واختلافها إنما هو اختلاف تنوع لا تضاد ويمكن الجمع بينها كلها، فيمكن أن يقال:

السكينة: هي ما ينزله الله على قلوب عباده المؤمنين من سكون وطمأنينة عند الانزعاج والاضطراب، فيزدادوا ثباتا ويقينا وإيمانا.

ثانيا: السكينة فيض من الله ومنَّةٌ منه وحده، يثبت بها قلوب عباده المؤمنين، عند الاضطراب والانزعاج من المخاوف.

---

١) "**شرح الطيبي على مشكاة المصابيح**" المسمى "**الكاشف عن حقائق السنن**" لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، ت: ٧٤٣هـ، ٦٦٥/٢، ط/ مكتبة نزار، تحقيق: عبد الحميد هنداوي.

٢) "**روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**" لشهاب الدين، محمود بن عبد الله الآلوسي، ت: ١٢٧٠هـ، ٢٥/١١، ط/ دار إحياء التراث العربي.

٣) "**تفسير القرآن الحكيم**" **المعروف بـ"تفسير المنار**" لمحمد رشيد بن علي رضا الحسيني، ت: ١٣٥٤هـ، ٢٢٠/١٠، ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٤) "**العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير**" لمحمد الأمين الشنقيطي، ت: ١٣٩٣هـ، ٣٩٠/٥، ط/ دار عالم الفوائد، تحقيق: خالد السبت.

٥) "**زهرة التفاسير**" لمحمد بن أحمد المعروف بأبي زهرة، ت: ١٣٩٤هـ، ٨٩٦/٢، ط/ دار الفكر العربي.

ثالثا: من أهل العلم من خصها بالأنبياء فقط، والذي تميل إليه النفس أنها أعم من ذلك لقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[1].

📖 والعلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي واضحة، حيث إن السكينة تُسَكّن القلب وتمنعه من الاضطراب والخوف، فهي تملأ القلب بالسكون والوقار والوداعة، وتذهب عنه الاضطراب والانزعاج من المخاوف.

١) سورة الفتح: الآية ٤.

الفرق بين السكينة والألفاظ القريبة الدلالة

أولا: الفرق بين السكينة والوقار

ذهب بعض أهل العلم إلى التفريق بينهما، فقالوا: **السكينة** هيئة نفسانية تنشأ من ثبات القلب، **والوقار** هيئة بدنية تنشأ من اطمئنان الأعضاء، -ومنهم من عكس-، **والسكينة** مفارقة الاضطراب عند الغضب والخوف، وأكثر ما جاء في الخوف، فتكون عن هيبة وغير هيبة، **أما الوقار** فلا يكون إلا عن هيبة.(١)

وقال جمعٌ من شُرَّاح الأحاديث في الفرق بينهما -عند شرحهم لقول النبي ﷺ: "إِذَا سَمِعْتُمْ الإِقَامَةَ فَامْشُوا إِلَى الصَّلاةِ **وَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ**، ولا تُسْرِعُوا، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا"(٢)-: السَّكِينَة التَّأَنِّي فِي الْحَرَكَاتِ وَاجْتِنَابُ الْعَبَثِ وَنَحْوُ ذَلِكَ، وَالْوَقَارُ فِي الْهَيْئَةِ، وَغَضِّ الْبَصَرِ، وَخَفْضِ الصَّوْتِ، وَالإِقْبَالِ عَلَى طَرِيقِهِ بِغَيْرِ الْتِفَاتٍ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.(٣)

---

١) ينظر: "**معجم الفروق اللغوية**" لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري، ت: ٣٩٥هـ، ص٢٨٠، ٢٨١، ط/ مؤسسة النشر الإسلامي، تحقيق: بيت الله بيات. "**مجمع البحرين**" لفخر الدين الطريحي، ت: ١٠٨٥هـ، ٣٢١/٢، ٤٨٣/٣، ط/ مؤسسة التاريخ العربي، تحقيق: أحمد الحسيني.

٢) "**صحيح البخاري**" كتاب الأذان- بَاب لا يَسْعَى إِلَى الصَّلاةِ وَلْيَأْتِ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ، ١٢٩/١، رقم ٦٣٦. "**صحيح مسلم**" كتاب المساجد ومواضع الصلاة- بَابُ اسْتِحْبَابِ إِتْيَانِ الصَّلاةِ بِوَقَارٍ وَسَكِينَةٍ، وَالنَّهْيِ عَنْ إِتْيَانِهَا سَعْيًا- ٤٢١/١، رقم ٦٠٢.

٣) ينظر: "**المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**" لأبي زكريا محيى الدين يحيى بن شرف النووي، ت: ٦٧٦هـ، ١٠٠/٥، ط/ دار إحياء التراث العربي. "**الكاشف عن حقائق السنن**" للطيبي، ٩٢٤/٣. "**طرح التثريب في شرح التقريب**" لأبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي، ت: ٨٠٦هـ، ٣٥٧/٢، ٣٥٨، ط/ الطبعة المصرية القديمة. "**فتح الباري شرح صحيح البخاري**" لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت: ٨٥٢هـ، ١١٨/٢، ط/ دار المعرفة. "**عمدة القاري شرح صحيح البخاري**" لأبي محمد محمود بن أحمد بدر الدين العيني، ت: ٨٥٥هـ، ١٥٢/٥، ط/ دار إحياء التراث العربي.

فكأن السكينة التي في قلبه تظهر على جوارحه وحركاته، والوقار يظهر على سمته وخلقه.

وذهب آخرون من أهل العلم إلى عدم التفريق بينهما، فقالوا: الوقار والسكينة بمعنى واحد، وإذا عطف بينهما فالعطف للتأكيد.[١]

قلت: الراجح من القول هو التفريق بينهما لأن الأصل في إفادة الألفاظ لمعانيها التأسيس[٢] لا التأكيد، ولأن حمل الألفاظ على التباين[٣] أولى من حملها على الترادف، أو يقال: إن الفرق بينهما يكون عند اجتماعهما، أما عند افتراقهما فأحدهما يغني عن الآخر، كالإسلام والإيمان.

---

١) ينظر: "**إكمال المُعْلِم بفوائد مسلم**" لأبي الفضل عياض بن موسى السبتي، ت: ٥٤٤هـ، ٥٥٣/٢، ط/ دار الوفاء، تحقيق: يحيى إسماعيل. "**مطالع الأنوار على صحاح الآثار**" لأبي إسحاق إبراهيم بن يوسف الحمزي بن قرقول، ت: ٥٦٩هـ، ٤٩١/٥، ط/ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بقطر، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث. "**المفهم لما أشكل من صحيح مسلم**" لأبي العباس أحمد بن عمر القرطبي، ت: ٦٥٦هـ، ٢٢٠/٢، ط/ دار ابن كثير، تحقيق: يوسف بديوي، وآخرين.

٢) التأسيس: إفادة معنى آخر لم يكن حاصلا قَبْلُ. "**التعريفات**" للجرجاني، ص٥٠. "**التوقيف على مهمات التعاريف**" للمناوي، ص٨٩.

٣) التباين: الألفاظ الموضوع كل واحد منها لمعنى. ينظر: "**روضة الناظر وجنة المناظر**" لأبي عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، ت: ٦٢٠هـ، ٧٣/١، ط/ مؤسسة الريان. "**شرح تنقيح الفصول**" لأبي العباس أحمد بن إدريس القرافي، ت: ٦٨٤هـ، ص٣٢، ط/ شركة الطباعة الفنية المتحدة، تحقيق: طه سعد.

ثانيا: الفرق بين السكينة والطمأنينة

ذكر الإمام الهروي[1] فرقين بين السكينة والطمأنينة، حاصل الفرق الأول: **أَنَّ السَّكِينَةَ** تَصُولُ عَلَى الْهَيْبَةِ الْحَاصِلَةِ فِي الْقَلْبِ، فَتُخْمِدُهَا أحيانا، فَيَسْكُنُ الْقَلْبُ مِن انْزِعَاجِ الْهَيْبَةِ، وَذَلِكَ فِي بَعْضِ الأَوْقَاتِ، فَلَيْسَ حُكْمًا دَائِمًا مُسْتَمِرًّا، **أما أَهْلُ الطُّمَأْنِينَةِ** فهذا يكون لهم دَائِمًا، وَيَصْحَبُهُ الأَمْنُ وَالرَّاحَةُ بِوُجُودِ الأُنْسِ، فَإِنَّ الاسْتِرَاحَةَ فِي السَّكِينَةِ قَدْ تَكُونُ مِنَ الْخَوْفِ وَالْهَيْبَةِ فَقَطْ، وَالاسْتِرَاحَةُ فِي مَنْزِلَةِ الطُّمَأْنِينَةِ تَكُونُ مَعَ زِيَادَةِ أُنْسٍ، وَذَلِكَ فَوْقَ مُجَرَّدِ الأَمْنِ، وَقَدْرٌ زَائِدٌ عَلَيْهِ.

وحاصل الفرق الثاني: أَنَّ الطُّمَأْنِينَةَ مَلَكَةٌ، ونعت لا تفارق صاحبها، أما السَّكِينَةُ فتكون نعتا، وتكون وقتا دون وقت.[2]

وذكر الإمام ابن القيم أمرين في الفرق بينهما، حاصل الأول: أَنَّ ظَفَرَ الشخص وَفَوْزَهُ بِمَطْلُوبِهِ الَّذِي حَصلَ لَهُ بالسَّكِينَةَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ وَاجَهَهُ عَدُوّ يُرِيدُ هَلاكَهُ، فَهَرَبَ مِنْهُ عَدُّوهُ، فَسَكَنَ رَوْعُهُ، أما الطُّمَأْنِينَةُ فبِمَنْزِلَةِ حِصْنٍ رَآهُ مَفْتُوحًا فَدَخَلَهُ، وَأَمِنَ فِيهِ، وَتَقَوَّى بِصَاحِبِهِ، فكُلٌّ مِنْ السكينة والطمأنينة يَسْتَلْزِمُ الآخَرَ وَيُقَارِنُهُ، لَكِنَّ اسْتِلْزَامَ الطُّمَأْنِينَةِ لِلسَّكِينَةِ أَقْوَى مِن اسْتِلْزَامِ السَّكِينَةِ لِلطُّمَأْنِينَةِ.

---

١) الإِمَامُ، القُدْوَةُ، الحَافِظُ الكَبِيْرُ، أَبُو إِسْمَاعِيْلَ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عَلِيٍّ الأَنْصَارِيُّ الهَرَوِيُّ، مَوْلِدُهُ: سَنَة سِتٍّ -وقيل: خمس- وَتِسْعِيْنَ وَثَلاَثِ مائَة، شيخُ خُرَاسَان، مِنْ ذُرِّيَّة صَاحِب النَّبِيِّ ﷺ أَبِي أَيُّوْبُ الأَنْصَارِيِّ، كان شديدا على أهل البدع، قويا في نصرة السنة، توفي: سنة إحدى وثمانين وأربع مائة. ينظر: "**المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**" لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي، ت: ٥٩٧هـ، ٢٧٨/١٦، ترجمة ٣٥٨٨، ط/ دار الكتب العلمية، تحقيق: محمد عطا. "**سير أعلام النبلاء**" للذهبي، ٥٠٣/١٨، ترجمة رقم ٢٦٠.

٢) ينظر: "**منازل السائرين**" لأبي إسماعيل عبد الله بن محمد الهروي، ت: ٤٨١هـ، ص٨٥، ط/ دار الكتب العلمية. "**مدارج السالكين**" لابن القيم، ٤٨١/٢، ٤٨٢.

وحاصل الثاني: أَنَّ الطُّمَأْنِينَةَ أَعَمُّ، فَإِنَّهَا تَكُونُ فِي الْعِلْمِ وَالْخَبَرِ بِهِ، وَالْيَقِينِ وَالظَّفَرِ بِالْمَعْلُومِ، أَمَّا السَّكِينَةُ: فَإِنَّهَا ثَبَاتُ الْقَلْبِ عِنْدَ هُجُومِ الْمَخَاوِفِ عَلَيْهِ، وَسُكُونُهُ وَزَوَالُ قَلَقِهِ وَاضْطِرَابِهِ.(١)

قلت: المتأمل في حديث القرآن عنهما، يلحظ ما يلي:

١- كل المواطن التي ذكرت فيها السكينة في القرآن قرنت بنزولها من عند الله، أي: أن الله يهبها من يشاء من عباده، وهذا خلاف الطمأنينة فللعبد فيها كسب، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾(٢).

٢- كل المواقف التي نزلت فيها السكينة مواقف خوف واضطراب وشدة بخلاف الطمأنينة يرد ذكرها في أحوال كثيرة ليس فيها خوف ولا قلق، قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ ﴾(٣)، ﴿ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾(٤)، ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴾(٥).

٣- الطمأنينة تطلق على الإنسان والملائكة، قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾(٦)،

---

١) ينظر: "**مدارج السالكين**" لابن القيم، ٤٨٢/٢.
٢) سورة الرعد: الآية ٢٨.
٣) سورة البقرة: جزء من الآية ٢٦٠.
٤) سورة المائدة: الآية ١١٣.
٥) سورة النحل: الآية ١١٢.
٦) سورة آل عمران: الآية ١٢٦.

﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴾[1]، أما السكينة فتطلق عليهما وعلى غيرهما من المخلوقات، قال تعالى: ﴿ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[2]، ﴿ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾[3].

ومما سبق يتبين ضعف ما نقله بعض المفسرين عن سيدنا عبد الله بن عباس ﷺ: كل سكينة في القرآن فهي الطمأنينة إلا التي في البقرة[4]، ولم أستطع الوقوف على سند لقوله ﷺ.

١) سورة الإسراء: الآية ٩٥.

٢) سورة الأنعام: الآية ١٣.

٣) سورة الشورى: الآية ٣٣.

٤) أي: قوله تعالى: ﴿ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [جزء من الآية ٢٤٨]. وينظر في قول ابن عباس: "**الكشف والبيان عن تفسير القرآن**" لأبي إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي، ت: ٤٢٧هـ، ٤٣/٩، ط/ دار إحياء التراث العربي، تحقيق: أبي محمد بن عاشور. "**معالم التنزيل في تفسير القرآن**" لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، ت: ٥١٠هـ، ٢٢٣/٤، ط/ دار إحياء التراث العربي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي. "**الجامع لأحكام القرآن**" لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، ت: ٦٧١هـ، ٢٦٤/١٦، ط/ دار الكتب المصرية، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش.

المبحث الأول: الآيات التي ذكرت فيها السكينة، وأقوال المفسرين فيها

📖 ذكرت السكينة في كتاب الله عز وجل في ستة مواضع:

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(١).

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾(٢).

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(٣).

الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾(٤).

الموضع الخامس: قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾(٥).

الموضع السادس: قوله تعالى: ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾(٦).

وبعد ذكر الآيات إليك أقوال المفسرين في تفسير السكينة فيها.

---

١) سورة البقرة: الآية ٢٤٨.
٢) سورة التوبة: الآية ٢٦.
٣) سورة التوبة: الآية ٤٠.
٤) سورة الفتح: الآية ٤.
٥) سورة الفتح: الآية ١٨.
٦) سورة الفتح: الآية ٢٦.

الموضع الأول: السكينة التي أنزلها الله لبني إسرائيل

لما أنكر بنو إسرائيل وتعجبوا من اختيار طالوت ملكا عليهم قائلين: ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ﴾[1]، بين لهم نبيهم الدلائل الدالة على استحقاقه للقيادة، وقال لهم إن علامة ملكه أن يأتيكم التابوت –الذي سلب منكم– فيه سكينة من ربكم، 📖 واختلف المفسرون في هذه السكينة على أقوال عدة:

أرجحها –والذي تميل إليه النفس– أنها بمعناها اللغوي من السكون والوقار والطمأنينة، أي: في إتيان التابوت ما تسكن به نفوسكم، وتقر به قلوبكم، وتثبتوا به أمام عدوكم، أو في التابوت ما تسكنون إليه وتطمئنون.[2]

وقيل: السَّكِينَةُ رِيحٌ هَفَّافَةٌ[3] لَهَا وَجْهٌ كَوَجْهِ الإِنْسَانِ.[4]

---

١) سورة البقرة: جزء من الآية ٢٤٧.

٢) وهذا القول اختاره جمع من المفسرين، منهم: **الإمام الماتريدي** في تفسيره "تأويلات أهل السنة" (٢٢٥/٢، ط/ دار الكتب العلمية)، **والإمام الواحدي** في تفسيره "الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" (ص١٧٩، ط/ دار القلم)، **والإمام ابن عطية** في تفسيره "المحرر الوجيز" (٣٣٣/١)، **والإمام الرازي** في تفسيره "مفاتيح الغيب" (٥٠٨/٦، ط/ دار إحياء التراث العربي)، **والإمام أبو السعود** في تفسيره "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" (٢٤١/١، ط/ دار إحياء التراث العربي)، **والإمام الشوكاني** في تفسيره "فتح القدير" (٣٠٣/١، ٣٠٤، ط/ دار ابن كثير)، **والإمام الآلوسي** في تفسيره "روح المعاني" (١٦٩/٢).

٣) الريح الهَفَّافَة: الخفيفة السريعة. "**غريب الحديث**" لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، ت: ٢٧٦هـ، ١٣٤/٢، ط/ مطبعة العاني، بغداد، تحقيق: عبد الله الجبوري.

٤) هذا القول مروي عن علي بن أبي طالب ﷺ، أخرجه الإمام عبد الرزاق في تفسيره (٣٦٠/١– أثر رقم ٣١٣)، والإمام الأزرقي في "أخبار مكة" (٦٦/١)، والإمام الطبري في تفسيره (٣٢٦/٥– آثار رقم ٥٦٦٥: ٥٦٦٨)، والإمام ابن أبي حاتم في تفسيره (٤٦٨/٢– أثر رقم ٢٤٧٤)، والإمام الحاكم في "المستدرك" (٤٩٩/٢– أثر رقم ٣٧١٤) وصححه، ووافقه الإمام الذهبي، قال الإمام عبد الرزاق: نا الثَّوْرِيُّ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ كُهَيْلٍ، عَنْ أَبِي الأَحْوَصِ، عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: "السَّكِينَةُ لَهَا وَجْهٌ كَوَجْهِ الإِنْسَانِ، ثُمَّ هِيَ بَعْدُ رِيحٌ هَفَّافَةٌ". قلت: أثر صحيح الإسناد، موقوف على علي بن أبي طالب ﷺ، ولعله من الدخيل في التفسير.

وقيل: السَّكِينَةُ لَهَا رَأْسٌ كَرَأْسِ الْهِرَّةِ، وَجَنَاحَانِ.(١)

وقيل: طَسْتٌ مِنْ ذَهَبٍ مِنَ الْجَنَّةِ، كَانَ يُغْسَلُ فِيهِ قُلُوبُ الأَنْبِيَاءِ.(٢)

وقيل: رُوحٌ مِنَ اللَّهِ يَتَكَلَّمُ، إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ تَكَلَّمَ، فَأَخْبَرَهُمْ بِبَيَانِ مَا يُرِيدُونَ.(٣)

📖 قلت: هذه الأقوال السابقة وإن كان منها ما هو صحيح الإسناد إلا أن التناقض بينها واضح، ثم إنه لم يذكر لنا الله عز وجل في كتابه شيئا عن ماهية تلك السكينة، ولم يثبت عن النبي ﷺ شيء في كيفيتها، فالأولى رد علمها لله عز وجل، وتفسيرها بما يظهر لنا من معنى لغوي لها، والله أعلم.

قال الإمام محيى الدين شيخ زاده: لا ندري ما السكينة سوى أن عرفنا أن قلوبهم كانت تسكن إليه وتطمئن، وليس لنا إلى معرفة السكينة

---

١) هذا القول مروي عن مجاهد، أخرجه الإمام الأزرقي في "أخبار مكة" (٦٦/١)، والإمام الطبري في تفسيره (٣٢٧/٥- آثار رقم ٥٦٧٢: ٥٦٧٥)، والإمام البيهقي في "دلائل النبوة" (١٦٨/٤)، قال الإمام الأزرقي: حَدَّثَنِي جَدِّي، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: "السَّكِينَةُ لَهَا رَأْسٌ كَرَأْسِ الْهِرَّةِ، وَجَنَاحَانِ". قلت: أثر صحيح الإسناد، مقطوع على مجاهد، ولعله من الدخيل في التفسير.

٢) هذا القول مروي عن عبد الله بن عباس ﷺ، أخرجه الإمام سعيد بن منصور في "سننه" (٩٤٣/٢- أثر رقم ٤٢١)، والإمام الطبري في تفسيره (٣٢٨/٥- أثر رقم ٥٦٧٨)، قال: حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: ثنا عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: ثنا الْحَكَمُ بْنُ ظُهَيْرٍ، عَنِ السُّدِّيِّ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[البقرة: ٢٤٨] قَالَ: "طَسْتٌ مِنْ ذَهَبٍ مِنَ الْجَنَّةِ، كَانَ يُغْسَلُ فِيهِ قُلُوبُ الأَنْبِيَاءِ". قلت: أثر ضعيف جدا، فيه الحكم بن ظهير، قال عنه ابن حجر في "التقريب" (ص١٧٥): متروك، رمي بالرفض.

٣) هذا القول مروي عن وهب بن منبه ﷺ، أخرجه الإمام عبد الرزاق في تفسيره (٣٦٠/١- أثر رقم ٣١٢)، والإمام الطبري في تفسيره (٣٢٩/٥- آثار رقم ٥٦٨٠، ٥٦٨١)، والإمام ابن أبي حاتم في تفسيره (٤٦٩/٢- أثر رقم ٢٤٧٩)، قال الإمام عبد الرزاق: نا بَكَّارُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: سَأَلْنَا وَهْبَ بْنَ مُنَبِّهٍ عَنْ تَابُوتِ مُوسَى: مَا كَانَ فِيهَا؟ وَمَا كَانَتْ؟ فَقَالَ: كَانَتْ نَحْوًا مِنْ ثَلاثَةِ أَذْرُعٍ فِي ذِرَاعَيْنِ، فَقُلْنَا: مَا كَانَ فِيهَا؟ فَقَالَ: عَصَا مُوسَى، وَالسَّكِينَةُ ، فَقِيلَ لَهُ: مَا السَّكِينَةُ؟ قَالَ: رُوحٌ مِنَ اللَّهِ يَتَكَلَّمُ، إِذَا اخْتَلَفُوا مِنْ شَيْءٍ تَكَلَّمَ فَأَخْبَرَهُمْ بِبَيَانِ مَا يُرِيدُونَ. قلت: أثر صحيح الإسناد، مقطوع على وهب.

وكيفيتها حاجة لأن الله تعالى لم يبين ما تلك السكينة، ولو كان لنا إلى معرفتها حاجة لبين لنا.(١)

قال الإمام الشوكاني -بعد ذكره لهذه الأقوال-: هَذِهِ التَّفَاسِيرُ الْمُتَنَاقِضَةُ لَعَلَّهَا وَصَلَتْ إِلَى هَؤُلاءِ الأعْلامِ مِنْ جِهَةِ اليهود أقماهم الله، فجاؤوا بِهَذِهِ الأمُورِ لِقَصْدِ التَّلاعُبِ بِالْمُسْلِمِينَ، وَالتَّشْكِيكِ عَلَيْهِمْ، وَانْظُرْ إِلَى جَعْلِهِمْ لَهَا تَارَةً حَيَوَانًا وَتَارَةً جَمَادًا وَتَارَةً شَيْئًا لا يُعْقَلُ، وَهَكَذَا كُلُّ مَنْقُولٍ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَتَنَاقَضُ وَيَشْتَمِلُ عَلَى مَا لا يُعْقَلُ فِي الْغَالِبِ، وَلا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ مِثْلُ هَذِهِ التَّفَاسِيرِ الْمُتَنَاقِضَةِ مَرْوِيًّا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَلا رَأْيًا رَآهُ قَائِلُهُ، فَهُمْ أَجَلُّ قَدْرًا مِنَ التَّفْسِيرِ بِالرَّأْيِ، وَبِمَا لا مَجَالَ لِلاجْتِهَادِ فِيهِ، إِذَا تَقَرَّرَ لَكَ هَذَا عَرَفْتَ أَنَّ الْوَاجِبَ الرُّجُوعُ فِي مِثْلِ ذَلِكَ إِلَى مَعْنَى السَّكِينَةِ لُغَةً، وَهُوَ مَعْرُوفٌ وَلا حَاجَةَ إِلَى رُكُوبِ هَذِهِ الأمُورِ الْمُتَعَسِّفَةِ الْمُتَنَاقِضَةِ، فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ عَنْهَا سَعَةً، وَلَوْ ثَبَتَ لَنَا فِي السَّكِينَةِ تَفْسِيرٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ لَوَجَبَ عَلَيْنَا الْمَصِيرُ إِلَيْهِ وَالْقَوْلُ بِهِ.(٢)

وقال الأستاذ الدكتور أبو شهبة -بعد ذكره لهذه الأقوال-: والحق أنه ليس في القرآن ما يدل على شيء من ذلك، ولا فيما صح عن النبي ﷺ، وإنما هذه من أخبار بني إسرائيل، وحملها عنهم بعض الصحابة والتابعين، ومرجعها إلى وهب بن منبه، وكعب الأحبار وأمثالهما.(٣)

---

١) "**حاشية محيى الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي**" ٦٠٤/٢، ط/ دار الكتب العلمية.

٢) "**فتح القدير**" للشوكاني، ت: ١٢٥٠هـ، ٣٠٦/١، ٣٠٧. بتصرف يسير

٣) "**الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير**" لمحمد بن محمد أبي شهبة، ت: ١٤٠٣هـ، ص١٧١، ط/ مكتبة السنة.

الموضع الثاني: السكينة التي أنزلها الله على الرسول ﷺ والمؤمنين يوم حنين

قال الله عز وجل: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾[١]، وقد كانت غزوة حنين بعد فتح مكة في شوال سنة ثمان من الهجرة، وقد أعجب المسلمون بكثرتهم وقوتهم، فهزموا في أول الغزوة وولوا مدبرين، ثم أنزل الله السكينة على رسوله ﷺ وعلى المؤمنين.

واختلف المفسرون في المراد بها هنا، فقيل: نصره، وقيل: رحمته، وقيل: ما يسكن إليه القلب والنفس، ويوجب الأَمَنَةَ والطمأنينة.[٢]

📖 قلت: لا تعارض بين الأقوال الثلاثة، فالنصر تسكن إليه النفوس، ومن آثار رحمة الله سكون القلب واطمئنان النفس، والسكينة التي أنزلها الله على رسوله ﷺ والمؤمنين الذين ثبتوا معه تزيدهم ثباتا إلى ثباتهم، وتوجب لهم الطمأنينة والثقة بالنصر، أما الذين فروا وولوا الأدبار فتوجب لهم السكينة الثبات والشجاعة بعد الخوف والاضطراب.[٣]

---

١) سورة التوبة: الآية ٢٥.

٢) ينظر: "**تأويلات أهل السنة**" للماتريدي، ٣٢٦/٥. "**الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**" للزمخشري، ٢٦٠/٢، ط/ دار الكتب العربية. "**المحرر الوجيز**" لابن عطية ٢٠/٣. "**مفاتيح الغيب**" للرازي ١٩/١٦. "**البحر المحيط**" لأبي حيان، ٣٩٤/٥، ط/ دار الفكر. "**إرشاد العقل السليم**" لأبي السعود، ٥٦/٤. "**محاسن التأويل**" للقاسمي، ٣٦٨/٥، ط/ دار الكتب العلمية.

٣) ينظر: "**التحرير والتنوير**" لمحمد الطاهر بن عاشور، ١٥٨/١٠، ط/ الدار التونسية. "**التفسير الوسيط للقرآن الكريم**" لمحمد سيد طنطاوي، ٢٤٢/٦، ط/ دار نهضة مصر.

الموضع الثالث: السكينة التي أنزلها الله في الغار

📖 جمهور المفسرين على أن السكينة في هذا الموضع بمعناها اللغوي وهو السكون والطمأنينة والأَمَنَة التي تسكن بها النفوس، وتقر بها القلوب.(١)

واختلفوا فيمن نزلت عليه السكينة، فقيل: نزلت على أبي بكر ﷺ، لأن النبي ﷺ كان ساكنا.(٢)

وقيل: نزلت على النبي ﷺ لتزيده اطمئنانا وثباتا إلى ثباته، ودلالة على علو شأنه ﷺ.(٣)

وقيل: الضمير في قوله: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ﴾ يعود عليهما، وأفرد لتلازمهما.(٤)

📖 قلت: ما المانع أن يعود الضمير على النبي ﷺ عملا بالقاعدة المشهورة: توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها(٥)،

---

١) ينظر: "**جامع البيان في تأويل آي القرآن**" للطبري، ٢٦١/١٤، ط/ مؤسسة الرسالة، تحقيق: أحمد شاكر. "**الهداية إلى بلوغ النهاية**" لمكي بن أبي طالب، ٣٠٠٢/٤، ط/ مجموعة بحوث الكتاب والسنة، جامعة الشارقة. "**تفسير القرآن**" للسمعاني، ٣١١/٢، ٣١٢. "**الكشاف**" للزمخشري، ٢٧٢/٢. "**الجامع لأحكام القرآن**" للقرطبي، ١٤٨/٨. "**إرشاد العقل السليم**" لأبي السعود، ٦٦/٤. "**روح المعاني**" للآلوسي، ٩٨/١٠.

٢) رجح هذا القول **الإمام ابن العربي** في "أحكام القرآن" (٥١٣/٢، ط/ دار الكتب العلمية)، **والإمام الرازي** في "مفاتيح الغيب" (٥٢/١٦)، **والإمام أبو البقاء** في "التبيان في إعراب القرآن" (٦٤٥/٢، ط/ عيسى الحلبي)، **والإمام القرطبي** في "الجامع لأحكام القرآن" (١٤٨/٨)، **والإمام أبو حيان** في "البحر المحيط" (٤٢٢/٥).

٣) اختار هذا القول **الإمام الطبري** في "جامع البيان" (٢٦١/١٤)، **والإمام ابن جزي** في "التسهيل لعلوم التنزيل" (٣٣٨/١، ط/ دار الأرقم بن أبي الأرقم)، **والإمام ابن كثير** في "تفسير القرآن العظيم" (١٥٥/٤، ط/ دار طيبة، تحقيق: سامي سلامة)، **والإمام ابن عاشور** في "التحرير والتنوير" (٢٠٤/١٠)، **والإمام محمد أبو زهرة** في "زهرة التفاسير" (٣٣١٠/٦)، **والإمام محمد طنطاوي** في "التفسير الوسيط" (٢٩٣/٦).

٤) ذكر هذا القول **الإمام الجوزي** في "زاد المسير في علم التفسير" (٢٦١/٢، ط/ دار الكتاب العربي)، **والإمام أبو حيان** في "البحر المحيط" (٤٢٢/٥).

٥) ينظر: "**قواعد الترجيح عند المفسرين**" لحسين الحربي، ٦١٣/٢: ٦٢٠، ط/ دار القاسم.

والضمائر في الآية كلها تعود على رسول الله ﷺ، وهذا لا يتنافى مع ثبات النبي ﷺ في بادئ الأمر فهذه السكينة تزيده اطمئنانا، وتدل على رفعة شأنه وقدره، وعلو منزلته ﷺ، ولا يتنافى أيضا مع نزول السكينة على أبي بكر ﷺ، لأن النبي ﷺ متبوع مطاع، وأبو بكر تابع مطيع، وهو صاحبه والله معهما، فإذا حصل للمتبوع سكينة وتأييد، كان ذلك للتابع أيضا بحكم الحال، فإنه صاحب تابع لازم، ولم يحتج أن يُذكر هنا ﷺ لكمال الملازمة والمصاحبة التي توجب له مشاركة النبي ﷺ في السكينة والتأييد.(١)

الموضع الرابع: السكينة التي أنزلها الله على المؤمنين في صلح الحديبية

📖 جمهور المفسرين على أن الفتح في قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾(٢)، هو صلح الحديبية، ويؤيد قولَهم ما أخرجه الإمامان البخاري ومسلم عن سهل بن حُنَيف ﷺ، قال: أَيُّهَا النَّاسُ اتَّهِمُوا أَنْفُسَكُمْ، فَإِنَّا كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ وَلَوْ نَرَى قِتَالا لَقَاتَلْنَا، فَجَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ؟ فَقَالَ: بَلَى، فَقَالَ: أَلَيْسَ قَتْلاَنَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلاهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَعَلامَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا؟ أَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، فَقَالَ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللَّهُ أَبَدًا، فَانْطَلَقَ عُمَرُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ وَلَنْ يُضَيِّعَهُ اللَّهُ أَبَدًا، فَنَزَلَتْ سُورَةُ الْفَتْحِ، فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى عُمَرَ إِلَى آخِرِهَا، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوَفَتْحٌ هُوَ؟ قَالَ: نَعَمْ.(٣)

---

١) ينظر: "**منهاج السنة النبوية**" لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ت: ٧٢٨هـ، ٨/٤٩٠، ط/ جامعة الإمام محمد بن سعود، تحقيق: محمد رشاد سالم.

٢) سورة الفتح: الآية ١.

٣) "**صحيح البخاري**" كتاب الجزية والموادعة– بَاب إِثْمِ مَنْ عَاهَدَ ثُمَّ غَدَرَ، ٤/١٠٣، رقم ٣١٨٢. "**صحيح مسلم**" كتاب الجهاد والسير– بَابُ صُلْحِ الْحُدَيْبِيَةِ فِي الْحُدَيْبِيَةِ– ٣/١٤١١، رقم ١٧٨٥.

وما أخرجه الإمام البخاري عن زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَسِيرُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَسِيرُ مَعَهُ لَيلا، فَسَأَلَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَنْ شَيْءٍ فَلَمْ يُجِبْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ سَأَلَهُ فَلَمْ يُجِبْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ فَلَمْ يُجِبْهُ، وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا عُمَرُ، نَزَرْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ثَلاثَ مَرَّاتٍ كُلُّ ذَلِكَ لا يُجِيبُكَ، قَالَ عُمَرُ: فَحَرَّكْتُ بَعِيرِي ثُمَّ تَقَدَّمْتُ أَمَامَ الْمُسْلِمِينَ، وَخَشِيتُ أَنْ يَنْزِلَ فِيَّ قُرْآنٌ، فَمَا نَشِبْتُ أَنْ سَمِعْتُ صَارِخًا يَصْرُخُ بِي، قَالَ: فَقُلْتُ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ نَزَلَ فِيَّ قُرْآنٌ، وَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ سُورَةٌ لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾.(١)

قال جمع من المفسرين: سورة الفتح مدنية، نزلت على رسول الله ﷺ منصرفه من الحديبية.(٢)

📖 وجمهور المفسرين على أن السكينة التي أنزلها الله على المؤمنين هي السكون والثبات والطمأنينة التي أودعها الله في قلوب المؤمنين إلى ما فعله النبي ﷺ في صلح الحديبية، فانشرحت صدورهم لهذا الصلح بعد أن ضاقت في أول الأمر، **قال الإمام ابن عاشور**: ألا تَرَى أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ تَبَلْبَلَتْ نُفُوسُهُمْ مِنْ صلح الْحُدَيْبِيَة إِذا انْصَرَفُوا عَقِبَهُ عَنْ دُخُولِ مَكَّةَ، بعد أَن جاؤوا لِلْعُمْرَةِ بِعَدَدٍ عَدِيدٍ حَسِبُوهُ لا يُغْلَبُ، وَأَنَّهُمْ إِنْ أَرَادَهُمُ الْعَدُوُّ بِسُوءٍ أَوْ صَدَّهُمْ عَنْ قَصْدِهِمْ قَابَلُوهُ فَانْتَصَرُوا عَلَيْهِ، وَأَنَّهُمْ يَدْخُلُونَ مَكَّةَ قَسْرًا، فَلَمَّا بَيَّنَ لَهُم الرَّسُول ﷺ مَا فِيهِ مِنَ الْخَيْرِ اطْمَأَنَّتْ نُفُوسُهُمْ بَعْدَ

---

١) "**صحيح البخاري**" كتاب المغازي، بَاب غَزْوَةِ الْحُدَيْبِيَةِ، ١٢٦/٥، رقم ٤١٧٧. وقوله: نَزَرتَ: أَيْ أَلححتَ عَلَيْهِ فِي الْمَسْأَلَةِ إِلْحَاحًا أَدَّبك بسُكوته عَنْ جَوَابِكَ. وقوله: فما نشبت: أي فما لبثت.

٢) ينظر: "**الكشاف**" للزمخشري، ٣٣١/٤. "**المحرر الوجيز**" لابن عطية، ١٢٥/٥. "**الجامع لأحكام القرآن**" للقرطبي، ٢٦٠/١٦. "**أنوار التنزيل وأسرار التأويل**" للبيضاوي، ١٢٦/٥، ط/ دار إحياء التراث العربي. "**التسهيل**" لابن جزي، ٢٨٦/٢. "**البحر المحيط**" لأبي حيان، ٤٨٢/٩. "**تفسير ابن كثير**" ٣٢٥/٧.

الاضْطِرَابِ، وَرَسَخَ يَقِينُهُمْ بَعْدَ خَوَاطِرِ الشَّكِّ، فَذَلِكَ الاطْمِئْنَانُ هُوَ الَّذِي سَمَّاهُ اللَّهُ بِالسَّكِينَةِ.(١)

وأخرج الإمام ابن جرير عن ابن عباس أن السكينة هنا الرحمة، قال: حَدَّثَنِي عَلِيٌّ، قَالَ: ثَنَا أَبُو صَالِحٍ، قَالَ: ثَنِي مُعَاوِيَةُ، عَنْ عَلِيٍّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الفتح: ٤] قَالَ: "السَّكِينَةُ: الرَّحْمَةُ".(٢)

قلت: لا تعارض فقد جمع الله بين السكينة والمودة والرحمة لتلازمهما، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٣)، فكأن العبد إذا وجد السكينة هدأت نفسه واستقرت، وانبعثت منه المودة والرحمة. والله أعلم.

الموضع الخامس: السكينة التي أنزلها الله على المؤمنين في بيعة الرضوان

في شهر ذي القعدة سنة ست من الهجرة النبوية خرج الرسول ﷺ بأصحابه من المدينة متوجها إلى بيت الله الحرام لأداء مناسك العمرة، فصدهم المشركون، فبذل النبي ﷺ كل ما في وسعه لإفهام قريش أنه لا يريد حربا، وإنما يريد زيارة البيت وتعظيمه، وعندما تأكدت قريش من ذلك أرسلت إليه من يفاوضه، ورأى النبي ﷺ أن يرسل مبعوثا من جانبه إليهم يبلغهم فيها نواياه السلمية بعدم الرغبة في القتال، فأرسل عثمان بن عفان ﷺ، فاحتبسته قريش عندها، فبلغ رسول الله ﷺ أن عثمان قد قُتِل،

---

١) "**التحرير والتنوير**" لابن عاشور، ١٤٩/٢٦. بتصرف يسير، وينظر: "**المحرر الوجيز**" لابن عطية، ١٢٧/٥. "**التسهيل**" لابن جزي، ٢٨٦/٢، ٢٨٧. "**التفسير الوسيط**" لمحمد طنطاوي، ٢٦١/١٣.

٢) "**تفسير الطبري**" ٢٤٥/٢١. قلت: أثر حسن الإسناد، فيه علي بن داود بن يزيد التميمي –شيخ الطبري–، قال عنه ابن حجر في "التقريب" (ص٤٠١): صدوق.

٣) سورة الروم: الآية ٢١.

فدعا النبي ﷺ أصحابه إلى مبايعته على قتال المشركين، فاستجاب الصحابة وبايعوه على الموت[١]، وفي رواية أن البيعة كانت على الصبر[٢]، وفي رواية على عدم الفرار[٣]، ولا تعارض لأن البيعة على الموت تعني الصبر وعدم الفرار[٤].[٥]

ولقد أثنى الله عليهم في كتابه قائلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[٦]، فقد جعل الله مبايعتهم لرسوله مبايعة له، وفي هذا غاية التكريم والتشريف لهم.

وأثنى عليهم النبي ﷺ قائلا: "لا يَدْخُلُ النَّارَ، إِنْ شَاءَ اللهُ، مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا".[٧]

---

١) ينظر: "**صحيح البخاري**" كتاب المغازي -بَاب غَزْوَةِ الْحُدَيْبِيَةِ وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾-، ١٢٥/٥، رقم ٤١٦٩. "**صحيح مسلم**" كِتَابُ الإِمَارَةِ -بَابُ اسْتِحْبَابِ مُبَايَعَةِ الإِمَامِ الْجَيْشَ عِنْدَ إِرَادَةِ الْقِتَالِ، وَبَيَانِ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ- ١٤٨٦/٣، رقم ١٨٦٠.

٢) ينظر: "**صحيح البخاري**" كتاب الجهاد -بَاب الْبَيْعَةِ فِي الْحَرْبِ أَنْ لا يَفِرُّوا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: عَلَى الْمَوْتِ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾-، ٥٠/٤، رقم ٢٩٥٨.

٣) ينظر: "**صحيح مسلم**" كِتَابُ الإِمَارَةِ -بَابُ اسْتِحْبَابِ مُبَايَعَةِ الإِمَامِ الْجَيْشَ عِنْدَ إِرَادَةِ الْقِتَالِ، وَبَيَانِ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ- ١٤٨٣/٣، رقم ١٨٥٦.

٤) ينظر: "**إكمال المعلم**" للقاضي عياض، ٢٦٨/٦. "**المنهاج**" للنووي، ٣/١٣. "**فتح الباري**" لابن حجر ١١٨/٦.

٥) ينظر: "**زاد المعاد في هدي خير العباد**" لابن القيم، ت: ٧٥١هـ، ٢٥٥/٣ وما بعدها، ط/ مؤسسة الرسالة. "**السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية**" لمهدي رزق الله أحمد، ص٤٨١ وما بعدها، ط/ مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

٦) سورة الفتح: الآية ١٠.

٧) ينظر: "**صحيح مسلم**" كِتَابُ فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم -بَابُ مِنْ فَضَائِلِ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَهْلِ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- ١٩٤٢/٤، رقم ٢٤٩٦.

وعرفت هذه البيعة بـــ"بيعة الرضوان" لأن الله أخبر بأنه رضي عن أصحابها، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾(١).

📖 وجمهور المفسرين على أن السكينة التي أنزلها الله على المؤمنين في بيعة الرضوان هي الطمأنينة والسكون والثبات، لما علم الله ما في قلوبهم من الصدق والإخلاص والوفاء بالبيعة.(٢)

📖 وأخرج الإمام ابن جرير عن قتادة أن السكينة هنا الصبر، قال: حَدَّثَنَا بِشْرٌ، قَالَ: ثَنَا يَزِيدُ، قَالَ: ثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلَهُ: ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾، أَيِ: الصَّبْرُ وَالْوَقَارُ.(٣)

قلت: لا تعارض، فاطمئنان القلب وسكون النفس يلزم عنهما الصبر والثبات.

الموضع السادس: السكينة التي أنزلها الله على الرسول والمؤمنين أثناء كتابة صلح الحديبية

قال الله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾(٤)، هذه الحمية فسرها المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم -رضي الله عنهما- في حديث طويل أخرجه الإمام البخاري قائلا: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا

---

١) سورة الفتح: الآية ١٨.

٢) ينظر: "**تأويلات أهل السنة**" للماتريدي، ٣٠٦/٩. "**الهداية إلى بلوغ النهاية**" لمكي بن أبي طالب، ٦٩٥٥/١١. "**الجامع لأحكام القرآن**" للقرطبي، ٢٧٨/١٦. "**تفسير القرآن العظيم**" لابن كثير، ٣٤٠/٧. "**إرشاد العقل السليم**" لأبي السعود، ١١٠/٨.

٣) "**تفسير الطبري**" ٢٢٨/٢٢. قلت: أثر حسن الإسناد، فيه بشر بن معاذ -شيخ الطبري-، قال عنه ابن حجر في "التقريب" (ص١٢٤): صدوق.

٤) سورة الفتح: الآية ٢٦.

مَعْمَرٌ، قَالَ: أَخْبَرَنِي الزُّهْرِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، عَنِ المِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، وَمَرْوَانَ، يُصَدِّقُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَدِيثَ صَاحِبِهِ، قَالاَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَمَنَ الحُدَيْبِيَةِ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ.....–ثم ذكرا الحديث بطوله– ثم قالا: وَكَانَتْ حَمِيَّتُهُمْ أَنَّهُمْ لَمْ يُقِرُّوا أَنَّهُ نَبِيُّ اللَّهِ، وَلَمْ يُقِرُّوا بِـ "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ"، وَحَالُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ البَيْتِ.(١)

وأخرج ابن حبان في صحيحه قائلا: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْفَضْلِ الْكَلَاعِيُّ بِحِمْصَ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا شُعَيْبُ بْنُ أَبِي حَمْزَةَ عَنِ الزُّهْرِيِّ أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ فَمَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي نَفْسَهُ وَمَالَهُ إِلا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ". وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ فَذَكَرَ قَوْمًا اسْتَكْبَرُوا فَقَالَ: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[الصافات: ٣٥]، وَقَالَ: ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [الفتح: ٢٦] وَهِيَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَمُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، استكبر عنها المشركون يوم الحديبية.(٢)

---

١) ينظر: "**صحيح البخاري**" كتاب الشروط –بَاب الشُّرُوطِ فِي الْجِهَادِ وَالْمُصَالَحَةِ مَعَ أَهْلِ الْحَرْبِ وَكِتَابَةِ الشُّرُوطِ–، ٣/١٩٣: ١٩٧، رقم ٢٧٣٢.

٢) "**صحيح ابن حبان**" كتاب الإيمان –ذِكْرُ الْبَيَانِ بِأَنَّ الْمَرْءَ إِنَّمَا يَعْصِمُ مَالَهُ وَنَفْسَهُ بِالْإِقْرَارِ لِلَّهِ إِذَا قَرَنَهُ بِالشَّهَادَةِ لِلْمُصْطَفَى بِالرِّسَالَةِ ﷺ–، ١/٤٥١، ٤٥٢، رقم ٢١٨، ط/ مؤسسة الرسالة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط. وأخرج الحديث أيضا: الإمامُ ابن مَندَه العبدي في "الإيمان" ذِكْرُ الْأَخْبَارِ الَّتِي جَاءَتْ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ الدَّالَّةِ عَلَى أَسَاسِ الْإِيمَانِ وَشُعَبِهِ، ١/٣٥٩، رقم ١٩٩، ٢٠٠، ط/ مؤسسة الرسالة. والإمامُ البيهقي في "الأسماء والصفات" بَابُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الْكَلِمَةِ الْبَاقِيَةِ فِي عَقِبِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام وَهِيَ كَلِمَةُ التَّقْوَى وَدَعْوَةُ الْحَقِّ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، ١/٢٦٣، رقم ١٩٥، ١٩٦، ط/ مكتبة السوادي، جدة. قلت: والحديث إسناده صحيح، وصحح إسناده الألبانيُّ في "التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان" ١/٢٩٣، رقم ٢١٨، ط/ دار با وزير، جدة. وشعيب الأرنؤوط في تحقيقه لـ "صحيح ابن حبان".

هذه الحمية التي كانت عند كتابة الصلح لمَّا قال سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو للنبي ﷺ: هَاتِ اكْتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابًا، فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ الْكَاتِبَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، قَالَ سُهَيْلٌ: أَمَّا الرَّحْمَنُ فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا هُوَ، وَلَكِنْ اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ كَمَا كُنْتَ تَكْتُبُ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: وَاللَّهِ لا نَكْتُبُهَا إلا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ، ثُمَّ قَالَ: هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللَّهِ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنْ الْبَيْتِ ولا قَاتَلْنَاكَ، وَلَكِنْ اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَاللَّهِ إِنِّي لَرَسُولُ اللَّهِ وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي، اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ الزُّهْرِيُّ –أحد رواة الحديث–: وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ ﷺ: لا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللَّهِ إلا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: عَلَى أَنْ تُخَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ فَنَطُوفَ بِهِ، فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللَّهِ لا تَتَحَدَّثُ الْعَرَبُ أَنَّا أُخِذْنَا ضُغْطَةً وَلَكِنْ ذَلِكَ مِنْ الْعَامِ الْمُقْبِلِ، فَكَتَبَ، فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَعَلَى أَنَّهُ لا يَأْتِيكَ مِنَّا رَجُلٌ وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ إلا رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا، قَالَ الْمُسْلِمُونَ: سُبْحَانَ اللَّهِ كَيْفَ يُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جَاءَ مُسْلِمًا،..... فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: فَأَتَيْتُ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: أَلَسْتَ نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا؟ قَالَ: إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَلَسْتُ أَعْصِيهِ، وَهُوَ نَاصِرِي، قُلْتُ: أَوَلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: بَلَى، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ الْعَامَ؟ قَالَ: قُلْتُ: لا، قَالَ: فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ، قَالَ: فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَيْسَ هَذَا نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا؟ قَالَ: أَيُّهَا الرَّجُلُ إِنَّهُ لَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ، وَهُوَ نَاصِرُهُ، فَاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِهِ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ عَلَى الْحَقِّ، قُلْتُ: أَلَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ وَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: بَلَى، أَفَأَخْبَرَكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ الْعَامَ؟ قُلْتُ: لا، قَالَ: فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ، قَالَ الزُّهْرِيُّ: قَالَ عُمَرُ: فَعَمِلْتُ لِذَلِكَ أَعْمَالا،

قَالَ: فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قَضِيَّةِ الْكِتَابِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لأَصْحَابِهِ: قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنْ النَّاسِ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَتُحِبُّ ذَلِكَ؟ اخْرُجْ ثُمَّ لا تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ، فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ بُدْنَهُ وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا فَنَحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا،..... .[1]

يتضح في هذا الجزء من الحديث الحمية التي كانت في قلوب المشركين، وكذلك ما جاشت به نفوس المسلمين عند كتابة الصلح، فأنزل الله السكينة عليهم، مقابلة لتلك الحمية التي عصفت بقلوب المشركين.

📖 وجمهور المفسرين على أن السكينة التي أنزلها الله عليهم هي سكون القلب والوقار والطمأنينة إلى أمر رسول الله ﷺ، والثقة بوعد الله، فأطاعوا رسول الله ﷺ، وزالت عنهم الكراهية والأنفة التي لحقت عمر رضي الله عنه وغيره، ولم يدخل قلوبهم ما دخل أهل الكفر من الحمية.[2]

📖 **تتمة:** بعد تفسير السكينة في المواطن الستة، يتضح لي ما يلي:

١- الراجح من أقوال المفسرين أن السكينة في هذه المواضع كلها بمعنى سكون النفس واطمئنان القلب والوقار والثبات والأمنة التي تنزل على النفوس والقلوب في تلك الأوقات.

---

١) ينظر: "**صحيح البخاري**" كتاب الشروط -بَاب الشُّرُوطِ فِي الْجِهَادِ وَالْمُصَالَحَةِ مَعَ أَهْلِ الْحَرْبِ وَكِتَابَةِ الشُّرُوطِ-، ١٩٥/٣، ١٩٦، رقم ٢٧٣٢.

٢) ينظر: "**تفسير الطبري**" ٢٥٣/٢٢. "**الهداية إلى بلوغ النهاية**" لمكي بن أبي طالب، ٦٩٦٧/١١. "**المحرر الوجيز**" لابن عطية، ١٣٨/٥. "**الجامع لأحكام القرآن**" للقرطبي، ٢٨٩/١٦. "**التسهيل**" لابن جزي، ٢٩١/٢. "**فتح القدير**" للشوكاني، ٦٤/٥. "**التفسير الوسيط**" لمحمد طنطاوي، ٢٨٢/١٣.

٢- اقترانها بالنزول من عند الله في هذه المواضع، وإضافتها في ثلاثة مواضع إلى ضمير الله عز وجل: دليل على علو شأنها ورفعة منزلتها، وعلو قدر من تنزل عليهم تلك السكينة، ودليل أيضا على أنها فيض وهبة من الله عز وجل، لا تؤثر الأسباب في وجودها، بل على العبد أن يأخذ بالأسباب ويرجو الرحمة من الله سبحانه، قال الطاهر بن عاشور: وَتَعْلِيقُهَا بِإِنْزَالِ اللَّهِ، وَإِضَافَتُهَا إِلَى ضَمِيرِهِ: تَنْوِيهٌ بِشَأْنِهَا وَبَرَكَتِهَا، وَإِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهَا سَكِينَةٌ خَارِقَةٌ لِلْعَادَةِ لَيْسَتْ لَهَا أَسْبَابٌ وَمُقَدِّمَاتٌ ظَاهِرَةٌ، وَإِنَّمَا حَصَلَتْ بِمَحْضِ تَقْدِيرِ اللَّهِ وَتَكْوِينِهِ.(١)

وقال أبو زهرة: ﴿سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ إشارة إلى أن السكينة والاطمئنان فيض من فيوض الله سبحانه وتعالى يرحم به الناس، وإن اقترنت تلك السكينة بأسباب فليست تلك الأسباب العادية هي المؤثرة في وجودها، بل الذي يوجدها هو رب العالمين، ومن حكمته سبحانه أن جعلها مقترنة بتلك الأسباب الدنيوية، وإن كانت غير مؤثرة فيها بالإيجاد، بدليل أنه قد توجد تلك الأسباب ولا توجد معها السكينة، ولا يكون معها الاطمئنان قط، واقتران السكينة والاطمئنان بالأسباب ليطلب الناس الأسباب، ويرجوا الرحمة منه، وكل شيء عند الله بمقدار.(٢)

٣- كل المواطن التي ذكرت فيها السكينة مملوءة بالاضطراب والشدة والقلق والخوف لما فيها من مقابلة الأعداء، أو الاستعداد لذلك.

---

١) "**التحرير والتنوير**" لابن عاشور، ١٥٨/١٠.

٢) "**زهرة التفاسير**" لأبي زهرة، ٨٩٦/٢.

المبحث الثاني: مواطن السكينة

المتأمل في آيات السكينة الست يجد قاسما مشتركا واحدا بينها، وهو أنها تتحدث عن مواقف شدة واضطراب، فتنزل السكينة على المؤمنين تثبتهم وتقويهم وتطمئن نفوسهم وقلوبهم فلا يخلو موضع من المواضع الستة السابقة من موطن شدة واضطراب وقلق وخوف لما في هذه المواضع من مواجهة للأعداء أو استعداد لذلك.

ففي الموضع الأول: بنو إسرائيل ما طلبوا من نبيهم ملكا إلا ليقاتلوا في سبيل الله، قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1]، وكانت آية ملكه ما قص علينا ربنا جل وعلا ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[2]، قال الإمام أبو زهرة: لقد خضعوا لقول نبيهم ولحكم الله باختيار طالوت وليا لأمرهم، متوليًا قيادتهم، ولكنه خضوع القلق المضطرب الذي لم يصب السكون قلبه، فلم تطمئن قلوبهم، فساق الله إليهم آية تدل على سلطان الله، إذ لابد من أمارة تثبت القلوب، **وخصوصًا أنهم مقدمون على حرب فيها تشتد الشديدة وتبتلى القلوب**، فلابد من نفوس ملتفة حول قائد لا يرين عليها شيء من الريب، ولا يمسها شيء من ظلمة الشك، بل يكون الخضوع الكامل، والاتحاد الشامل، والتآلف بين الجيش والقائد.[3]

---

١) سورة البقرة: الآية ٢٤٦.

٢) سورة البقرة: الآية ٢٤٨.

٣) "**زهرة التفاسير**" لأبي زهرة، ٨٩٥/٢.

وفي الموضع الثاني: الاضطراب فيه ظاهر واضح حيث إن المسلمين في غزوة حنين أعجبوا بكثرتهم فضاقت في وجوههم الأرض مع رحابتها وسعتها وأصابهم ما أصابهم من التولي والفرار ثم أدركتهم رحمة الله فأنزل السكينة عليهم ليثبتوا مع رسول الله، وأيدهم بجنود لم يروها، **يقول الإمام محمد سيد طنطاوي:** نرى الآية الكريمة تصور ما حدث من المؤمنين في غزوة حنين تصويرا بديعا معجزا، فهي تنتقل من تصوير سرورهم بالكثرة، إلى تصوير عدم نفعهم بهذه الكثرة، إلى تصوير شدة خوفهم حتى لكأن الأرض على سعتها تضيق بهم، وتقفل في وجوههم، إلى تصوير حركاتهم الحسية المتمثلة في توليه الأدبار، والنكوص على الأعقاب، وبعد هذا الخوف الشديد الذي أصاب المؤمنين في مبدأ لقائهم بأعدائهم في غزوة حنين، يجيء نصر الله الذي عبر عنه سبحانه بقوله: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.(١)

وفي الموضع الثالث: موقف أبي بكر ﷺ مع رسول الله ﷺ في الغار فيه من القلق والخوف والحزن ما فيه، حينما قال أبو بكر ﷺ لرسول الله ﷺ "لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لأَبْصَرَنَا"، فَقَالَ له النبي ﷺ: "مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا"(٢)، فكان ما قص علينا ربنا ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(٣)، ففي قوله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ ﴾ شاهد قائم، رآه المسلمون رأى العين، وهو أن الله قد نصر نبيه وصاحبه، وهما

---

١) "**التفسير الوسيط**" لمحمد سيد طنطاوي، ٦/٢٤١، ٢٤٢.

٢) ينظر: "**صحيح البخاري**" كتاب فضائل الصحابة – بَاب مَنَاقِبِ الْمُهَاجِرِينَ وَفَضْلِهِمْ–، ٤/٥، رقم ٣٦٥٣. "**صحيح مسلم**" كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ –بَابُ مِنْ فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيق ﷺ– ٤/١٨٥٤، رقم ٢٣٨١.

٣) سورة التوبة: الآية ٤٠.

في تلك الحالة الحرجة الشديدة المشقة، حين انتشر الأعداء من كل جانب يطلبونهما ليقتلوهما، فخلّصهما الله من يد المشركين الذين كانوا لهما بمرصد، على كل ثنيّة، وعلى كل طريق، ولم يكن مع النبي الكريم وصاحبه قوّة ظاهرة، وكانا أعزلين من كل سلاح، إلا سلاح الإيمان الذي يملأ قلبيهما، مجرّدين من كل قوة، إلا قوة الحقّ الذي في يديهما، محرومين من كل نصير، إلا عون الله لهما، وحراسته القائمة عليهما.(١)

والمواضع الثلاثة الباقية كان نزول السكينة في الفتح المبين (صلح الحديبية) الذي أتى المسلمون فيه ليعتمروا فصدهم المشركون عن البيت، وأخبرنا ربنا عز وجل أنه رضي عن أولئك الأخيار الذين بايعوا رسول الله ﷺ على قتال المشركين وعلى أن لا يفروا لما أشيع خبر مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، فعلم سبحانه ما في قلوبهم من الصدق والإخلاص في بيعتهم، وعلم ما في قلوبهم من كظم لانفعالاتهم، وضبط لمشاعرهم ليقفوا خلف كلمة رسول الله ﷺ طائعين صابرين، ﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾، تضفي على تلك القلوب الحارة المتحمسة المنفعلة، برداً وسلاماً وطمأنينة، وكان في كتابة شروط الصلح ما فيها من حمية المشركين لباطلهم، وإجحاف المسلمين، فكل هذه المواقف فيها قلق واضطراب وشدة.

📖 ومن مواقف الاضطراب والفزع والشدة أيضا ما حدث في غزوة الأحزاب من تشديد الحصار على المسلمين، وانسحاب المنافقين ونشرهم الأراجيف، وقد وصف القرآن الكريم ما وصل إليه المسلمون من فزع وخوف، قال تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا

١) ينظر: "**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**" لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، ت: ١٣٧٦هـ، ص٣٣٧، مؤسسة الرسالة. "**التفسير القرآني للقرآن**" لعبد الكريم الخطيب، ت: ١٣٩٠هـ، ٥/٧٧٤، ط/ دار الفكر العربي.

شَدِيدًا ﴾[١]، ولهذا كان النبي ﷺ يرتجز بكلمات عبد الله بن رواحة ﷺ، سائلا ربه السكينة، قائلا:

اللَّهُمَّ لَوْلاَ أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا
فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لاَقَيْنَا
إِنَّ الأَعْدَاءَ قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا.[٢]

📖 وفي غزوة أخرى يفزع الناس ويمشي سالم مولى أبي حذيفة وعليه السكينة، كما أخرج الحاكم في "مستدركه" قائلا: حَدَّثَنِي الشَّيْخُ أَبُو بَكْرِ بْنُ إِسْحَاقَ، أَنْبَأَ أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مِلْحَانَ، ثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنِي اللَّيْثُ عَنْ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلاَلٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ يَحْيَى، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ لَهُ، فَفَزِعَ النَّاسُ فَخَرَجْتُ وَعَلَيَّ سِلاَحِي، فَنَظَرْتُ إِلَى سَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ عَلَيْهِ سِلاَحُهُ يَمْشِي وَعَلَيْهِ السَّكِينَةُ، فَقُلْتُ: لأَقْتَدِيَنَّ بِهَذَا الرَّجُلِ الصَّالِحِ حَتَّى أَتَى، فَجَلَسَ عِنْدَ بَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَجَلَسْتُ مَعَهُ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُغْضَبًا، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، مَا هَذِهِ الْخِفَّةُ؟ مَا هَذَا التَّرَفُ؟ أَعَجَزْتُمْ أَنْ تَصْنَعُوا كَمَا صَنَعَ هَذَانِ الرَّجُلاَنِ الْمُؤْمِنَانِ؟.[٣]

📖 وها هو نبي الله إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- خليل الرحمن، يكسر الأصنام فيتوعده قومه بإلقائه في النار، ويضرمون نارا

---

١) سورة الأحزاب: الآيتان ١٠، ١١.

٢) ينظر: "**صحيح البخاري**" كتاب الجهاد -بَابُ الرَّجَزِ فِي الحَرْبِ وَرَفْعِ الصَّوْتِ فِي حَفْرِ الخَنْدَقِ-، ٤/٦٤، ٦٥، رقم ٣٠٣٤. "**صحيح مسلم**" كتاب الجهاد والسير-بَابُ غَزْوَةِ الأَحْزَابِ وَهِيَ الْخَنْدَقُ- ٣/١٤٣٠، رقم ١٨٠٣.

٣) "**المستدرك**" للحاكم، ٣/٦٠٦- حديث رقم ٦٢٤٤. وصححه الذهبي. قلت: رجال الحديث كلهم ثقات، إلا شعيب بن محمد بن عمرو بن العاص، قال عنه ابن حجر في "تقريب التهذيب" (ص٢٦٧): صدوق.

عظيمة، فما كان منه إلا السكون والطمأنينة مفوضا أمره لله قائلا: "حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ"(١).

📖 وكذلك نبي الله موسى عليه السلام لما سار ببني إسرائيل ليلا كما قال الله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴾(٢)، وعلم فرعون بخروج موسى عليه السلام ومعه بنو إسرائيل، فأرسل جنوده ليجمعوا له الناس من المدائن المتعددة في مملكته، فساروا مسرعين خلف موسى عليه السلام ومن معه، فلحقوا بهم في وقت شروق الشمس، ولما تقاربا بحيث يرى كل فريق خصمه قال بنو إسرائيل لنبيهم موسى عليه السلام والخوف يملأ نفوسهم: ﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾(٣)، وهنا رد عليهم موسى عليه السلام بثقة وثبات وسكون واطمئنان ﴿ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾(٤).

📖 وتلك أم موسى عليه السلام بعد أن ألقت موسى عليه السلام في اليم، والتقطه آل فرعون، وعلمت بذلك أصبح قلبها وفؤادها خاليا من التفكير في أي شيء في هذه الحياة، إلا في شيء واحد وهو مصير ابنها موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٥)، فسر بعض المفسرين ربط الله على قلب أم موسى عليه السلام بما أنزل في قلبها من السكينة، فلم تفضح سرها الدفين.(٦)

---

١) ينظر: "**صحيح البخاري**" كتاب التفسير –بَاب ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ ﴾ الآية–، ٣٩/٦، رقم ٤٥٦٣.

٢) سورة الشعراء: الآية ٥٢.

٣) سورة الشعراء: جزء من الآية ٦١.

٤) سورة الشعراء: الآية ٦٢.

٥) سورة القصص: الآية ١٠.

٦) ينظر: "**فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب**" لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، ت: ٧٤٣هـ، ٣٩٩/٤، ط/ جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم. "**روح المعاني**" للآلوسي، ٤٩/٢٠. "**الموسوعة القرآنية**" لإبراهيم بن إسماعيل الأبياري، ت: ١٤١٤هـ، ٢٠٨/٨، ط/ مؤسسة سجل العرب. "**التيسير في أحاديث التفسير**" لمحمد المكي الناصري، ت: ١٤١٤هـ، ٤٨٦/٤، ط/ دار الغرب الإسلامي.

📖 ومن الشدائد التي تمس المؤمنَ المرضُ، وما أحوج المؤمن حينئذ إلى الصبر والثبات ونزول السكينة والطمأنينة عليه من ربه، فيحتسب الأجر عند ربه، ولا يشكو ربه للخلق، بل يكون راضيا مستسلما رافعا شكواه لله وحده، مقتديا بنبي الله أيوب عليه السلام، فقد أخرج الحاكم أثرا موقوفا على كعب رضي الله عنه، فيه: فَأَلْقَى اللَّهُ عَلَى أَيُّوبَ السَّكِينَةَ وَالصَّبْرَ عَلَى بَلائِهِ الَّذِي ابْتَلاهُ بِهِ فَسَمَّاهُ اللَّهُ ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[1].

📖 حقا ما أحوج المسلم في مثل هذه الأوقات التي تنفعل فيها النفوس، وتزوغ فيها الأبصار، وتبلغ فيها القلوب الحناجر، إلى سكون النفس وطمأنينة القلب، حتى يثبت على الحق، فلا يؤثر القلق والاضطراب على أقواله وأفعاله بما يتنافى مع أخلاق الإسلام وآدابه، والسكينة حين ينزلها الله في قلب، تكون طمأنينة وراحة، ويقيناً وثقة، ووقاراً وثباتاً، واستسلاماً ورضا، وهذا هو ما أفاض الله به على أنبيائه وعباده المؤمنين في مثل هذه الأوقات، لما علم سبحانه من إخلاص نياتهم، وصدق يقينهم وإيمانهم، والثقة في تأييد ربهم لهم، والمتأمل في حال النبي ﷺ وهو في الغار وفي يوم حنين، وحال المؤمنين في بيعة الرضوان يلحظ صدقهم وإخلاصهم، قال غير واحد من المفسرين: ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من الصدق والوفاء والإخلاص.[2]

---

١) ينظر: "**المستدرك**" للحاكم، ٢/٦٣٤– أثر رقم ٤١١٣. وقد سكت الذهبي عن الحكم عليه. قلت: في إسناد هذا الأثر مُدْرِكُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قال عنه الذهبي في "ميزان الاعتدال" (٤/٨٦، ط/ دار المعرفة): له مناكير. فإسناده ضعيف جدا، إلا أن هذه الجملة التي فيه مقبولة، فقد أثنى الله على صبر وثبات نبيه أيوب عليه السلام، قال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: جزء من الآية ٤٤]، فليس بعجيب أن تنزل عليه السكينة من ربه، بل هو أهل لها عليه السلام.

٢) ينظر: "**تفسير الطبري**" ٢٢/٢٢٧. "**تأويلات أهل السنة**" للماتريدي، ٩/٣٠٦. "**الهداية إلى بلوغ النهاية**" لمكي بن أبي طالب، ١١/٦٩٥٥. "**الكشاف**" للزمخشري، ٤/٣٤٠. "**أنوار التنزيل**" للبيضاوي، ٥/١٢٩.

المبحث الثالث: أسباب نزول السكينة

إن المتأمل في المواطن السابقة التي تنزلت فيها السكينة يقف على أسباب عدة تفضل الله عز وجل بإنزال السكينة على عباده عند تلك الأسباب، هي:

أولا: حسن الظن بالله والثقة به مع الاستجابة لأمره

قال رسول الله ﷺ: "يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي"(١).

فالله عند ظن عبده به، فإذا أخذ العبد بأسباب النجاة ثم وقع في شدة فعليه أن يستعين بربه وأن يحسن ظنه فيه ويملأ قلبه ثقة بتأييده له ونصره إياه، فحينئذ يجد العبد لطف الله به وتفضله عليه بأن ينزل عليه سكينته ورحمته فيصرف عنه ما نزل به من كرب.

فهذا نبينا محمد ﷺ بعد ما أخذ بكل أسباب النجاة من الكفار أثناء الهجرة، ووصل الكفار إلى الغار، كان على ثقة بنصر الله له وحسن ظن فيه سبحانه، وليس أدل على ذلك من العبارة التي قالها ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ﴾(٢)، فكان ما ذكر الله لنا من نزول السكينة وتأييده له ونصره إياه.

ونبي الله موسى عليه السلام لما سار ببني إسرائيل وأتبعهم فرعون بجنوده حتى تراء الجمعان وقال له قومه ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾(٣)، فما كان من

---

١) "**صحيح البخاري**" كتاب التوحيد- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ}، ١٢١/٩، رقم ٧٤٠٥. "**صحيح مسلم**" كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالاسْتِغْفَارِ- بَابُ الْحَثِّ عَلَى ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى- ٢٠٦١/٤، رقم ٢٦٧٥.

٢) سورة التوبة: جزء من الآية ٤٠.

٣) سورة الشعراء: جزء من الآية ٦١.

موسى عليه السلام إلا أن وثق بنصر الله له وأحسن الظن بربه قائلا: ﴿ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾[١]، فأيده ربه ونصره.

وخليل الله إبراهيم عليه السلام عندما أضرم قومه نارا عظيمة ليلقوه فيها ما كان منه إلا أن وثق بربه قائلا: "حسبنا الله ونعم الوكيل"، فنجاه ربه وجعل النار بردا وسلاما عليه.

وكذلك المؤمنون الصادقون بعد غزوة أحد وقد أصابهم فيها قرح عظيم، لكنهم استجابوا لأمر الله والرسول وأحسنوا التوكل على ربهم والثقة به فأيدهم الله ونصرهم وكان ما أخبرنا الله به قائلا: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ۝ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾[٢].

فالمؤمن إذا استجاب لأمر ربه ووثق به وأحسن الظن فيه -لا سيما وقت شدته- فإن الله ينزل عليه برد السكينة والطمأنينة ويؤيده وينصره ولا يخذله.

ثانيا: الإيمان الحق بالله

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٣].

الآية الكريمة تبين أن القلوب التي أنزل الله السكينة فيها تتصف بالإيمان، فكان امتلاء القلوب بالإيمان سببا لينزل الله السكينة والطمأنينة فيها، هذه القلوب التي وقفت خلف رسول الله ﷺ واقتدت بفعله، ووصفها الله عز وجل -في ختام سورة الفتح- قائلا: ﴿ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ

١) سورة الشعراء: الآية ٦٢.
٢) سورة آل عمران: الآيات من ١٧٢: ١٧٤.
٣) سورة الفتح: جزء من الآية ٤.

ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ﴾[1]، فهذه صورة حية لمشاعرهم الثابتة الدائمة، كل ما يشغلهم وتتطلع إليه نفوسهم وتشتاق إليه قلوبهم هو فضل الله ورضوانه، لا شيء سوى ذلك، -وكأن هذا الوصف هو علامة الإيمان الحق بالله عز وجل- لذا تفضل الله على هذه القلوب بإنزال السكينة عليهم.

ثالثا: إخلاص القلوب وصدقها

قال الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾[2].

المتأمل في الآية الكريمة يجد أن الله سبحانه وتعالى رتب نزول السكينة على علمه تعالى بما في قلوب هؤلاء المؤمنين الصادقين من الإخلاص والصدق والوفاء إبَّان بيعة الرضوان، فمَنَّ الله عليهم وتفضل بشرح صدورهم وسكون نفوسهم، **قال الإمام الطبري:** قَوْلُهُ: ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: فَعَلِمَ رَبُّكَ يَا مُحَمَّدُ مَا فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَصْحَابِكَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، مِنْ صِدْقِ النِّيَّةِ، وَالْوَفَاءِ بِمَا يُبَايِعُونَكَ عَلَيْهِ، وَالصَّبْرِ مَعَكَ، ﴿فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ يَقُولُ: فَأَنْزَلَ الطُّمَأْنِينَةَ، وَالثَّبَاتَ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ دِينِهِمْ وَحُسْنِ بَصِيرَتِهِمْ بِالْحَقِّ الَّذِي هَدَاهُمُ اللَّهُ لَهُ.[3] وبنحو هذا القول الذي ذكره الإمام الطبري قال جمع من المفسرين.[4]

والمتأمل في حياة الأنبياء جميعا يجد أن الله يتفضل عليهم بطمأنينة القلب وسكون النفس لإخلاصهم لدين الله عز وجل وصدقهم في نصرته، وقد ذكرت جانبا منها آنفا في الحديث عن مواطن السكينة.

---

١) سورة الفتح: جزء من الآية ٢٩.

٢) سورة الفتح: الآية ١٨.

٣) "**تفسير الطبري**" ٢٢٧/٢٢، ٢٢٨.

٤) ينظر: "**تأويلات أهل السنة**" للماتريدي، ٣٠٦/٩. "**الهداية إلى بلوغ النهاية**" لمكي بن أبي طالب، ٦٩٥٥/١١. "**مفاتيح الغيب**" للرازي، ٧٩/٢٨. "**الجامع لأحكام القرآن**" للقرطبي، ٢٧٨/١٦. "**أنوار التنزيل وأسرار التأويل**" للبيضاوي، ١٢٩/٥. "**مدارك التنزيل وحقائق التأويل**" للنسفي، ٣٣٩/٣. "**التسهيل لعلوم التنزيل**" لابن جزي، ٢٨٩/٢. "**تفسير القرآن العظيم**" لابن كثير، ٣٤٠/٧. "**إرشاد العقل السليم**" لأبي السعود، ١١٠/٨. "**روح المعاني**" للآلوسي، ٢٦١/١٣.

فبالإخلاص والوفاء والصدق –لا سيما في أوقات الشدة والاضطراب– تتنزل السكينة والطمأنينة تفضلا من رب العباد على المخلصين الصادقين.

رابعا: دعاء النبي ﷺ واستغفاره للمؤمنين

قال الله تعالى: ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(١).

في الآيات الكريمة أمر من الله عز وجل لنبيه ﷺ أن يأخذ من هؤلاء الذين اعترفوا بذنوبهم ومن غيرهم صدقة تطهيرا للنفس من الشح والبخل والطمع، ومن دنس الذنوب، وتزكية للقلوب من الأخلاق الذميمة، وتنمية للأموال والأعمال والحسنات، كما أمره أن يدعو ويستغفر لهم، فإن دعاء النبي ﷺ واستغفاره للمؤمنين سبب في سكون نفوسهم واطمئنان قلوبهم، فالنبي ﷺ مستجاب الدعوة ولا شك أن دعاءه لأي فرد من المؤمنين سبب لنزول الرحمة والسكينة وانشراح الصدر واطمئنان القلب.

ومن أمثلة دعواته ﷺ: دعائه لأم أبي هريرة بالهداية، قال أبو هريرة: كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الإِسْلامِ وَهِيَ مُشْرِكَةٌ، فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا فَأَسْمَعَتْنِي فِي رَسُولِ الله ﷺ مَا أَكْرَهُ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ وَأَنَا أَبْكِي، قُلْتُ يَا رَسُولَ الله إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الإِسْلامِ فَتَأْبَى عَلَيَّ، فَدَعَوْتُهَا الْيَوْمَ فَأَسْمَعَتْنِي فِيكَ مَا أَكْرَهُ، فَادْعُ الله أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "اللهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ"، فَخَرَجْتُ مُسْتَبْشِرًا بِدَعْوَةِ نَبِيِّ الله ﷺ، فَلَمَّا جِئْتُ فَصِرْتُ إِلَى الْبَاب، فَإِذَا هُوَ مُجَافٌ، فَسَمِعَتْ أُمِّي خَشْفَ قَدَمَيَّ، فَقَالَتْ: مَكَانَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ الْمَاءِ، قَالَ: فَاغْتَسَلَتْ وَلَبِسَتْ دِرْعَهَا وَعَجِلَتْ عَنْ خِمَارِهَا، فَفَتَحَتِ الْبَابَ، ثُمَّ قَالَتْ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَشْهَدُ أَنْ

١) سورة التوبة: الآية ١٠٢، ١٠٣.

لا إِلَهَ إلا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَتَيْتُهُ وَأَنَا أَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَبْشِرْ قَدِ اسْتَجَابَ اللهُ دَعْوَتَكَ وَهَدَى أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ خَيْرًا، قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ اللهَ أَنْ يُحَبِّبَنِي أَنَا وَأُمِّي إِلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُحَبِّبَهُمْ إِلَيْنَا، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "اللهُمَّ حَبِّبْ عُبَيْدَكَ هَذَا – يَعْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ – وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ، وَحَبِّبْ إِلَيْهِمِ الْمُؤْمِنِينَ"، فَمَا خُلِقَ مُؤْمِنٌ يَسْمَعُ بِي ولا يَرَانِي إِلا أَحَبَّنِي.(١)

فدعاء النبي للمؤمنين بالمغفرة أو بالرحمة سبب عظيم في اطمئنان القلوب، وسكون النفوس، وانشراح الصدور.

١) "**صحيح مسلم**" كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ – بَابُ مِنْ فَضَائِلِ أَبِي هُرَيْرَةَ الدَّوْسِيِّ ﷺ– ١٩٣٨/٤، رقم ٢٤٩١.

المبحث الرابع: ثمرات نزول السكينة

لنزول السكينة في القلب فوائد عظيمة وآثار طيبة، منها:

الثمرة الأولى: ازدياد الإيمان

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾(١).

الآية الكريمة تبين أن الله عز وجل أنزل السكينة في قلوب المؤمنين إبان صلح الحديبية ليزدادوا يقينا مع يقينهم وتصديقا مع تصديقهم، ولا شك أن السكينة إذا نزلت في القلب أقبل على طاعة الله ورسوله فامتثل الأمر واجتنب النهي، وأقبل على العمل الصالح، وهذا مما يزيد الإيمان في القلوب.

قال الإمام الطبري: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾ يَقُولُ: لِيَزْدَادُوا بِتَصْدِيقِهِمْ بِمَا جَدَّدَ اللَّهُ مِنَ الْفَرَائِضِ الَّتِي أَلْزَمَهُمُوهَا، الَّتِي لَمْ تَكُنْ لَهُمْ لازِمَةٌ ﴿ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾ يَقُولُ: لِيَزْدَادُوا إِلَى إِيمَانِهِمْ بِالْفَرَائِضِ الَّتِي كَانَتْ لَهُمْ لازِمَةٌ قَبْلَ ذَلِكَ،..... حَدَّثَنِي عَلِيٌّ، قَالَ: ثَنَا أَبُو صَالِحٍ، قَالَ: ثَنِي مُعَاوِيَةُ، عَنْ عَلِيٍّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ قَالَ: "السَّكِينَةُ: الرَّحْمَةُ"، ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بَعَثَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِشَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، فَلَمَّا صَدَّقُوا بِهَا زَادَهُمُ الصَّلاةَ، فَلَمَّا صَدَّقُوا بِهَا زَادَهُمُ الصِّيَامَ، فَلَمَّا صَدَّقُوا بِهِ زَادَهُمُ الزَّكَاةَ، فَلَمَّا صَدَّقُوا بِهَا زَادَهُمُ الْحَجَّ، ثُمَّ أَكْمَلَ لَهُمْ دِينَهُمْ".(٢)

وقال الإمام الخازن: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾ وذلك أنه تعالى جعل السكينة والطمأنينة في قلوب المؤمنين سببا لزيادة الإيمان في قلوبهم، وذلك

---

١) سورة الفتح: الآية ٤.

٢) "**تفسير الطبري**" ٢٤٥/٢١. قلت: أثر حسن الإسناد، فيه علي بن داود بن يزيد التميمي –شيخ الطبري–، قال عنه ابن حجر في "التقريب" (ص٤٠١): صدوق.

أنه كلما ورد عليهم أمر أو نهي، آمنوا به وعملوا بمقتضاه، فكان ذلك زيادة في إيمانهم.(١)

ولا شك أن منزلة السكينة والطمأنينة في الإيمان أعلى وأقوى من مجرد الإيمان ومما يدل على ذلك قول الله عز وجل لخليله إبراهيم عليه السلام: ﴿ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾(٢).(٣)

الثمرة الثانية: زوال الخوف وحصول الأمن

إن السكينة حين ينزلها الله في قلب خائف، تكون طمأنينة وراحة، ويقيناً وثقة، ووقاراً وثباتاً، والمتأمل في تعريف السكينة لغة واصطلاحا، وفي المواقف السابقة التي ذكرناها في مواطن السكينة يقف على مدى اطمئنان العبد وأمنه وشعوره بالأنس والثبات عند نزول السكينة عليه، وهذه ثمرة من أعظم ثمرات السكينة، فإن الخوف إذا سيطر على قلب العبد طاشت أقواله وأفعاله، وإذا ذهب الخوف وحصل الأمن اتزنت أقواله وأفعاله.

يقول الإمام الرازي: وَاعْلَمْ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾(٤)، يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْفِعْلَ مَوْقُوفٌ عَلَى حُصُولِ الدَّاعِي، وبَيَانُ ذلك: أَنَّ حَالَ انْهِزَامِ الْقَوْمِ لَمْ تَحْصُلْ دَاعِيَةُ السُّكُونِ وَالثَّبَاتِ فِي قُلُوبِهِمْ، فَلا جَرَمَ لَمْ يَحْصُلِ السُّكُونُ وَالثَّبَاتُ، بَلْ فَرَّ الْقَوْمُ وَانْهَزَمُوا، وَلَمَّا حَصَلَتِ السَّكِينَةُ الَّتِي هِيَ عِبَارَةٌ عَنْ دَاعِيَةِ السُّكُونِ وَالثَّبَاتِ رَجَعُوا

١) "**لباب التأويل في معاني التنزيل**" لأبي الحسن، علي بن محمد المعروف بالخازن، ت: ٧٤١هـ، ١٥٤/٤، ط/ دار الكتب العلمية، تحقيق: محمد علي شاهين.

٢) سورة البقرة: جزء من الآية ٢٦٠.

٣) ينظر: "**التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**" لوهبة الزحيلي، ٢٤٦/٩، ط/ دار الفكر.

٤) سورة التوبة: الآية ٢٦.

إِلَى رَسُولِ الله على الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، وَثَبَتُوا عِنْدَهُ وَسَكَنُوا فَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ حُصُولَ الْفِعْلِ مَوْقُوفٌ عَلَى حُصُولِ الدَّاعِيَةِ.(١)

وها هو الإمام ابن القيم يشبه القلب الذي نزلت فيه السكينة بعد خوف بِمَنْزِلَةِ مَنْ وَاجَهَهُ عَدُوٌّ يُرِيدُ هَلاَكَهُ، فَهَرَبَ مِنْهُ عَدُوُّهُ، فَسَكَنَ رَوْعُهُ، فالسكينة تثبت القلب عند هجوم المخاوف عليه، وتزيل قلقه واضطرابه.(٢)

كالثبات والاطمئنان والأمن الذي نزل على قلب نبي الله موسى عليه السلام بعد خوفه حين رأى حبال القوم وعصيهم كأنها تسعى، قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾(٣).

قال الإمام محمد سيد طنطاوي: والإيجاس: الإخفاء والإضمار، والخيفة: الخوف، أي: فأخفى موسى عليه السلام في نفسه شيئا من الخوف، حين رأى حبال السحرة وعصيهم كأنها حيات تسعى على بطونها، وخوفه هذا حدث له بمقتضى الطبيعة البشرية عند ما رأى هذا الأمر الهائل من السحر، وبمقتضى أن يؤثر هذا السحر في نفوس الناس فيصرفهم عما سيفعله، وهنا ثبته الله تعالى وقواه، وأوحى إليه سبحانه بقوله: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، أي: قلنا له عند ما أوجس في نفسه خيفة من فعل السحرة: لا تخف يا موسى مما فعلوه، إنك أنت الأعلى عليهم بالغلبة والظفر، أنت الأعلى لأن معك الحق ومعهم الباطل.(٤)

---

١) ينظر: "**مفاتيح الغيب**" للرازي، ١٩/١٦.

٢) ينظر: "**مدارج السالكين**" لابن القيم، ٤٨٢/٢.

٣) سورة طه: الآيات ٦٥: ٦٨.

٤) "**التفسير الوسيط**" لمحمد سيد طنطاوي، ١٢٤/٩.

الثمرة الثالثة: الخضوع والخشوع

لا شك أن العبد إذا سكن قلبه أثناء عبادته وكان في أمن وطمأنينة أقبل بقلبه على ربه فأتقن عبادته وأقامها على الوجه الذي يحبه الله، وذاق حلاوة الخضوع والخشوع بين يدي الله، لذا بعدما تحدث الله عز وجل عن صلاة الخوف قال: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾[1]، قال الإمام محمد سيد طنطاوي: فإذا ما سكنت نفوسكم من الخوف، وأقمتم في مساكنكم بعد أن وضعت الحرب أوزارها، فداوموا على أداء الصلاة على وجهها الذي كانت عليه قبل حالة الحرب، وأتموا أركانها وشروطها وآدابها وخشوعها.[2]

إن القلب إذا امتلأ بالسكينة والطمأنينة أثناء أداء العبادة خشع وخضع لربه عز وجل، وخضعت وخشعت الجوارح تبعا له فهو ملك الأعضاء، لذا حثنا النبي ﷺ على التحلي بالسكينة عند القيام بالعبودية لله عز وجل قائلا ﷺ: "إِذَا نُودِيَ بِالصَّلَاةِ فَأْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَمْشُونَ، وَعَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا"[3].

قال الإمام ابن القيم: السَّكِينَةُ عِنْدَ الْقِيَامِ بِوَظَائِف الْعُبُودِيَّةِ، هِيَ الَّتِي تُورِّثُ الْخُضُوعَ وَالْخُشُوعَ وَغَضَّ الطَّرَفِ وَجَمْعِيَّةَ الْقَلْبِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، بِحَيْثُ يُؤَدِّي عُبُودِيَّتَهُ بِقَلْبِهِ وَبَدَنِهِ، وَالْخُشُوعُ نَتِيجَةُ هَذِهِ السَّكِينَةِ وَثَمَرَتُهَا، وَخُشُوعُ الْجَوَارِحِ نَتِيجَةُ خُشُوعِ الْقَلْبِ.[4]

---

١) سورة النساء: الآية ١٠٣.

٢) "**التفسير الوسيط**" لمحمد سيد طنطاوي، ٢٩٣/٣.

٣) "**صحيح مسلم**" كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ- بَابُ اسْتِحْبَابِ إِتْيَانِ الصَّلَاةِ بِوَقَارٍ وَسَكِينَةٍ، وَالنَّهْيِ عَنْ إِتْيَانِهَا سَعْيًا- ٤٢١/١، رقم ٦٠٢.

٤) "**إعلام الموقعين عن رب العالمين**" لابن القيم، ١٥٥/٤.

فالخشوع والخضوع في القيام بوظائف العبودية ثمرة عظيمة من ثمرات التحلي بالسكينة، وروي أن النبي ﷺ رأى رجلا يعبث بلحيته في الصلاة، فقال: "لَوْ خَشَعَ قَلْبُ هَذَا خَشَعَتْ جَوَارِحُهُ"(١).

الثمرة الرابعة: الرضا عن الله والاستسلام لأمره

الاستسلام لأمر الله ورسوله ثمرة من ثمار تنزل السكينة على الصحابة الكرام في صلح الحديبية، قال تعالى: ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾(٢)،

قال الإمام ابن القيم: لَمَّا كَانَتْ حَمِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ تُوجِبُ مِنْ الأَقْوَالِ وَالأَعْمَالِ مَا يُنَاسِبُهَا جَعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِ أَوْلِيَائِهِ سَكِينَةً تُقَابِلُ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَفِي أَلْسِنَتِهِمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى مُقَابِلَةً لِمَا تُوجِبُهُ حَمِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ كَلِمَةِ الْفُجُورِ، فَكَانَ حَظُّ الْمُؤْمِنِينَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِهِمْ، وَكَلِمَةَ التَّقْوَى عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ، وَحَظُّ أَعْدَائِهِمْ حَمِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ فِي قُلُوبِهِمْ، وَكَلِمَةُ الْفُجُورِ وَالْعُدْوَانِ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ؛ فَكَانَتْ هَذِهِ السَّكِينَةُ وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ جُنْدًا مِنْ جُنْدِ اللَّهِ أَيَّدَ بِهَا اللَّهُ رَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ فِي مُقَابَلَةِ جُنْدِ الشَّيْطَانِ الَّذِي فِي قُلُوبِ أَوْلِيَائِهِ وَأَلْسِنَتِهِمْ، **وَثَمَرَةُ هَذِهِ السَّكِينَةِ الطُّمَأْنِينَةُ لِلْخَيْرِ تَصْدِيقًا وَإِيقَانًا وَلِلأَمْرِ تَسْلِيمًا وَإِذْعَانًا**، فَلا تَدَعْ شُبْهَةً تُعَارِضُ الْخَيْرَ وَلا إِرَادَةً تُعَارِضُ الأَمْرَ، فَلا تَمُرُّ مُعَارَضَاتُ السُّوءِ بِالْقَلْبِ إِلا وَهِيَ مُجْتَازَةٌ مِنْ مُرُورِ الْوَسَاوِسِ الشَّيْطَانِيَّةِ الَّتِي يُبْتَلَى

---

١) أخرجه الحكيم الترمذي في "نوادر الأصول" (الأصل السابع والأربعون والمائتان، حديث رقم ١٣١٠، ٢/١٠٠٧)، والحديث إسناده موضوع، فيه سليمان بن عمرو هو أبو داود النخعي، قال عنه ابن عدي في "الكامل في ضعفاء الرجال" (٤/٢٢٨): اجتمعوا على أنه يضع الحديث. ينظر: "**إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**" للألباني، ٢/٩٢، ٩٣، ط/ المكتب الإسلامي، بيروت. قلت: أما متنه فصحيح، يشهد له قول النبي ﷺ في ("صحيح البخاري" كتاب العلم، باب فَضْلِ مَنْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، ١/٢٠، حديث رقم ٥٢): "أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ".

٢) سورة الفتح: الآية ٢٦.

بِهَا الْعَبْدُ لِيَقْوَى إِيمَانُهُ، وَيَعْلُوَ عِنْدَ اللَّهِ مِيزَانُهُ، بِمُدَافَعَتِهَا وَرَدِّهَا وَعَدَمِ السُّكُونِ إِلَيْهَا.(١)

وكذلك كان شأن نبي الله أيوب عليه السلام في مرضه، فالعبد المؤمن إذا نزل عليه البلاء من ربه عز وجل يكون في أمس الحاجة إلى سكينة تصبره وترضيه بقضاء الله وقدره، حتى لا يسخط أمام اختبار الله له، ولا تزل قدمه، وتلك ثمرة من أعظم ثمار تنزل السكينة.

ويقول الإمام الثعالبي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾: فَأَيُّ عبدٍ توفَّر عقلُه واتَّسَعَ نورُه نزلت عليه السكينةُ من ربّه فسكنَتْ نفسُهُ عن الاضْطِرَاب، وَوَثِقَتْ بِوَلِيِّ الأسباب، فكانت مطمئنةً، أي: خامِدَةً ساكنةً مستسلمةً لأحكامِ اللَّهِ ثابتةً لأقدارِهِ وممدودةً بتأييدِه وأنوارِه، فاطمأنَّتْ لمولاَها لعلمِها بأنه يَرَاهَا: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾(٢)، فاستحقَّتْ أن يقال لها: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾.(٣)

الثمرة الخامسة: النصر على الأعداء

إن وقت الحرب من الأوقات التي تزيغ فيها الأبصار وتبلغ فيها القلوب الحناجر وتتعدد فيها الظنون برب العباد سبحانه، فإذا نزلت السكينة على العباد في هذا الوقت ذهبت كل المخاوف وثبتت الأبصار والقلوب وتحقق النصر من الله العزيز الحكيم.

---

١) "**إعلام الموقعين عن رب العالمين**" لابن القيم، ١٥٥/٤.

٢) سورة فصلت: جزء من الآية ٥٥.

٣) "**الجواهر الحسان في تفسير القرآن**" لعبد الرحمن بن محمد الثعالبي، ت: ٨٧٥هـ، ٥٨٩/٥، ط/ دار إحياء التراث، تحقيق: محمد معوض، وعادل عبد الموجود. والآيتان من سورة الفجر: ٢٧، ٢٨.

تلك السكينة التي حصلت لموسى عليه السلام وقد غشيه فرعون وجنوده من ورائهم والبحر أمامهم وبنو إسرائيل يستغيثون بموسى، فينصره ربه ويهلك فرعون وجنوده، وهي السكينة التي كانت سببا لبني إسرائيل بالنصر مع ملكهم طالوت، وهي السكينة التي نزلت على نبينا محمد ﷺ في مواقفه العظيمة مع قومه –وقد أحاطوا به– كيوم بدر ويوم حنين ويوم الخندق وغيره فيؤيده ربه عز وجل وينصره في تلك المشاهد كلها.

قال الإمام الطاهر بن عاشور عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[١]:

التَّفْرِيعُ مُؤْذِنٌ بِأَنَّ السَّكِينَةَ أُنْزِلَتْ عَقِبَ الْحُلُولِ فِي الْغَارِ، وَأَنَّهَا مِنَ النَّصْرِ، إِذْ هِيَ نَصْرٌ نَفْسَانِيٌّ، وَإِنَّمَا كَانَ التَّأْيِيدُ بِجُنُودٍ لَمْ يَرَوْهَا نَصْرًا جُثْمَانِيًّا، وَلَيْسَ يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ نُزُولُ السَّكِينَةِ عَقِبَ قَوْلِهِ: لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنا بَلْ إِنَّ قَوْلَهُ ذَلِكَ هُوَ مِنْ آثَارِ سَكِينَةِ اللَّهِ الَّتِي أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ، وَتِلْكَ السَّكِينَةُ هِيَ مَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِ نَصْرِ اللَّهِ إِيَّاهُ، فَيَكُونُ تَقْدِيرُ الْكَلَامِ: فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ حِينَ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا، وَحِينَ كَانَ فِي الْغَارِ، وَحِينَ قَالَ لِصَاحِبِهِ: لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا، فَتِلْكَ الظُّرُوفُ الثَّلَاثَةُ مُتَعَلِّقَةٌ بِفِعْلِ نَصَرَهُ عَلَى التَّرْتِيبِ الْمُتَقَدِّمِ.[٢]

بل إن من المفسرين من فسر السكينة التي نزلت على النبي ﷺ والمؤمنين يوم حنين بالنصر[٣]، ولا شك أن السكينة لما نزلت على المؤمنين بعد أن ولوا مدبرين كانت سببا كبيرا في نصرهم حيث ثبتوا حول رسول الله ﷺ فنصرهم الله.

---

١) سورة التوبة: الآية ٤٠.

٢) "**التحرير والتنوير**" لابن عاشور، ١٠/٢٠٣، ٢٠٤.

٣) ينظر: "**المحرر الوجيز**" لابن عطية ٣/٢٠. "**البحر المحيط**" لأبي حيان، ٥/٣٩٤.

الخاتمة

أهم النتائج:

١- السكينة فيض من الله عز وجل ينزلها في قلوب من يشاء من عباده لتسكن قلوبهم عند الاضطراب.

٢- السكينة في المواضع الستة التي نزلت فيها تُحمل على معناها العرفي الحقيقي لها.

٣- كل المواطن التي نزلت فيها السكينة مواطن اضطراب وخوف وشدة.

٤- السكينة حين ينزلها الله في قلب تكون طمأنينة وراحة، ويقيناً وثقة، ووقاراً وثباتاً.

٥- من ثمار السكينة الخضوع والخشوع أثناء القيام بالعبادة، والاستسلام لأمر الله عز وجل.

٦- حاجتنا إلى السكينة في كل مواقف حياتنا.

أهم التوصيات:

١- حسن الظن بالله والثقة به لا سيما في أوقات الشدة والخوف.

٢- إخلاص النية لله والصدق معه في كل مواقف الحياة.

٣- استقبال مواقف الشدة والاضطراب بالثبات واليقين في الله والرضا بقضائه.

فهرس أهم المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

"الآحاد والمثاني" لأبي بكر بن أبي عاصم، ت: ٢٨٧هـ، ط/ دار الراية، الرياض، تحقيق: باسم فيصل.

"إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" لأبي السعود، ت: ٩٨٢هـ، ط/ دار إحياء التراث العربي.

الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير" لمحمد بن محمد أبي شهبة، ت: ١٤٠٣هـ، ط/ مكتبة السنة.

"إعلام الموقعين عن رب العالمين" لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، ت: ٧٥١هـ، ط/ دار الكتب العلمية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم.

"إكمال المُعْلِم بفوائد مسلم" لأبي الفضل عياض بن موسى السبتي، ت: ٥٤٤هـ، ط/ دار الوفاء، تحقيق: يحيى إسماعيل.

أنوار التنزيل وأسرار التأويل" للبيضاوي، ط/ دار إحياء التراث العربي.

"التحرير والتنوير" لمحمد الطاهر بن عاشور، ت: ١٣٩٣هـ، ط/ الدار التونسية.

"التسهيل لعلوم التنزيل" لأبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، ت: ٧٤١هـ، ط/ دار الأرقم بن أبي الأرقم، تحقيق: عبد الله الخالدي، الطبعة الأولى.

"التعريفات" لأبي الحسن علي بن محمد الجرجاني، ت: ٨١٦هـ، ط/ دار الكتب العلمية.

"تفسير القرآن" لأبي المظفر منصور بن محمد السمعاني، ت: ٤٨٩هـ، ط/ دار الوطن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس.

"تفسير القرآن العظيم" لابن كثير، ت: ٧٧٤هـ، ط/ دار طيبة، تحقيق: سامي سلامة.

"التفسير القرآني للقرآن" لعبد الكريم الخطيب، ت: بعد ١٣٩٠هـ، ط/ دار الفكر العربي، القاهرة.

"تفسير المراغي" للمراغي، ت: ١٣٧١هـ، ط/ مكتبة مصطفى الحلبي.

"تفسير المنار" لمحمد رشيد بن علي رضا الحسيني، ت: ١٣٥٤هـ، ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب.
"التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج" للزحيلي، ط/ دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة الثانية.
"التفسير الوسيط" للزحيلي، ط/ دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى.
"التفسير الوسيط" لمحمد سيد طنطاوي، ت: ١٤٣١هـ، ط/ دار نهضة مصر، القاهرة، الطبعة الأولى.
"تهذيب اللغة" لأبي منصور الأزهري ت: ٣٧٠هـ، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ت ط/ ٢٠٠١م، تحقيق: محمد عوض.
"التوقيف على مهمات التعاريف" للمناوي، ت: ١٠٣١هـ، ط/ عالم الكتب.
"تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان" للسعدي، ت: ١٣٧٦هـ، مؤسسة الرسالة.
"جامع البيان عن تأويل آي القرآن" للطبري، ت: ٣١٠هـ، ط/ دار هجر، تحقيق: عبد الله التركي.
"الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي، ت: ٦٧١هـ، ط/ دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش.
"حاشية محيى الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي" ط/ دار الكتب العلمية.
"روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني" للآلوسي، ت: ١٢٧٠هـ، ط/ دار الكتب العلمية، تحقيق: علي عطية.
"زاد المسير في علم التفسير" لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي، ت: ٥٩٧هـ، ط/ دار الكتاب العربي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.
"زهرة التفاسير" لأبي زهرة، ت: ١٣٩٤هـ، ط/ دار الفكر العربي.
"سنن الترمذي" للترمذي، ت: ٢٧٩هـ، ط/ مكتبة مصطفى الحلبي، الطبعة الثانية، تحقيق: أحمد شاكر.

"سنن أبي داود" لأبي داود السجستاني، ت: ٢٧٥هـ، ط/ دار الرسالة، الطبعة الأولى، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.
"الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية" للجوهري، ت: ٣٩٣هـ، ط/ دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة، تحقيق: أحمد عطار.
"صحيح البخاري" لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ت: ٢٥٦هـ، ط/ طوق النجاة.
"صحيح مسلم" لأبي الحسن مسلم بن الحجاج، ت: ٢٦١هـ، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: محمد عبد الباقي.
"صفوة التفاسير" للصابوني، ط/ دار الصابوني، القاهرة، الطبعة الأولى.
"طرح التثريب في شرح التقريب" لأبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي، ت: ٨٠٦هـ، ط/ الطبعة المصرية القديمة.
"العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير" لمحمد الأمين الشنقيطي، ت: ١٣٩٣هـ، ط/ دار عالم الفوائد، تحقيق: خالد السبت.
"عمدة القاري شرح صحيح البخاري" للعيني، ت: ٨٥٥هـ، ط/ دار إحياء التراث.
"غرائب القرآن ورغائب الفرقان" للنيسابوري، ت: ٨٥٠هـ، ط/ دار الكتب العلمية، تحقيق: زكريا عميرات.
"فتح الباري شرح صحيح البخاري" لابن حجر العسقلاني، ت: ٨٥٢هـ، ط/ دار المعرفة.
"فتح القدير" لمحمد بن علي الشوكاني، ت: ١٢٥٠هـ، ط/ دار ابن كثير.
"الفروق اللغوية" للعسكري، ت: ٣٩٥هـ، ط/مؤسسة النشر الإسلامي.
"القاموس المحيط" لمجد الدين الفيروزآبادي، ت: ٨١٧هـ، ط/ مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثامنة، تحقيق: مكتب تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة.
الكاشف عن حقائق السنن" لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، ت: ٧٤٣هـ، ط/ مكتبة نزار، تحقيق: عبد الحميد هنداوي.
الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل" لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ت: ٥٣٨هـ، ط/

مكتبة العبيكان، بالرياض، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي معوض.
الكشف والبيان عن تفسير القرآن" للثعلبي، ت: ٤٢٧هـ، ط/ دار إحياء التراث العربي، تحقيق: أبو محمد بن عاشور.
"لباب التأويل في معاني التنزيل" للخازن، ت: ٧٤١هـ، ط/ دار الكتب العلمية.
لسان العرب" لابن منظور، ت: ٧١١هـ، ط/ دار صادر، بيروت.
مجمع البحرين" لفخر الدين الطريحي، ت: ١٠٨٥هـ، ٣٢١/٢، ٤٨٣/٣، ط/ مؤسسة التاريخ العربي، تحقيق: أحمد الحسيني.
"محاسن التأويل" للقاسمي، ت: ١٣٣٢هـ، ط/ دار الكتب العلمية، تحقيق: محمد باسل.
"المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" لابن عطية، ت: ٥٤٢هـ، ط/ دار الكتب العلمية، تحقيق: عبد السلام محمد.
"مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين" لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، ت: ٧٥١هـ، ط/ دار الكتاب العربي، تحقيق: محمد البغدادي.
"مسند أحمد" لأحمد بن حنبل، ت: ٢٤١هـ، ط/ مؤسسة الرسالة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون.
"المعجم الكبير" لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، ت: ٣٦٠هـ، ط/ مكتبة ابن تيمية، تحقيق: حمدي عبد المجيد.
"المصباح المنير في غريب الشرح الكبير" للفيومي، ت: ٧٧٠هـ، ط/ المكتبة العلمية.
"مطالع الأنوار على صحاح الآثار" لأبي إسحاق إبراهيم بن يوسف الحمزي بن قرقول، ت: ٥٦٩هـ، ط/ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بقطر، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث.
"معالم التنزيل في تفسير القرآن" للبغوي، ت: ٥١٠هـ، ط/ دار إحياء التراث العربي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي

"معجم الفروق اللغوية" لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري، ت: ٣٩٥هـ، ط/ مؤسسة النشر الإسلامي، تحقيق: بيت الله بيات.

"معجم اللغة العربية المعاصرة" لأحمد مختار عمر، ت: ١٤٢٤هـ، بمساعدة فريق عمل، ط/ عالم الكتب، الطبعة الأولى.

"مفاتيح الغيب" للرازي، ت: ٦٠٦هـ، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة.

"المفردات في غريب القرآن" لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، ت: ٥٠٢هـ، ط/ دار القلم، بيروت، تحقيق: صفوان عدنان.

"المفهم لما أشكل من صحيح مسلم" لأبي العباس أحمد بن عمر القرطبي، ت: ٦٥٦هـ، ط/ دار ابن كثير، تحقيق: يوسف بديوي، وآخرين.

"مقاييس اللغة" لأبي الحسين أحمد بن فارس الرازي، ت: ٣٩٥هـ، ط/ دار الفكر، تحقيق: عبد السلام هارون.

"منازل السائرين" لأبي إسماعيل عبد الله بن محمد الهروي، ت: ٤٨١هـ، ط/ دار الكتب العلمية.

المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج" لأبي زكريا محيى الدين يحيى بن شرف النووي، ت: ٦٧٦هـ، ط/ دار إحياء التراث العربي.

"الهداية إلى بلوغ النهاية" لمكي بن أبي طالب، ت: ٤٣٧هـ، ط/ جامعة الشارقة.